الرسالة ٣٢٣

# كثرة الاستعمال
# بين صحة النص ومقتضى القاعدة

**د. رباح اليمني مفتاح**
قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الأقصى (غزة) - فلسطين

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية – الحولية الحادية والثلاثون – ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م

**المؤلف:**

**د. رباح اليمني يوسف مفتاح**

- دكتوراه، في اللغة العربية وآدابها من قسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة عام ١٩٩٠م.
- عميد البحث العلمي بجامعة الأقصى (كلية التربية الحكومية سابقاً) من (١٩٩٨م – ٢٠٠٣م).
- حالياً أستاذاً مشاركاً للنحو والصرف بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الأقصى بغزة/ فلسطين من عام ٢٠٠١م حتى تاريخه.

**الإنتاج العلمي:**

- بحث منفرد في العدد الثاني من المجلد الثاني من "مجلة الدراسات اللغوية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية" بالسعودية، والصادر في ربيع الآخر – جمادى الآخرة ١٤٢١هـ/ يوليو – سبتمبر ٢٠٠٠م، وعنوانه: "المرقاه لإعراب لا إله إلَّا اللَّه" لشمس الدين بن الصائغ: تحقيقاً ودراسة.
- بحث منشور في المجلد الثامن والأربعين من "مجلة معهد المخطوطات العربية" التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة في ٢٣/١٢/٢٠٠٢م، والصادر في ربيع الأول – رمضان ١٤٢٥هـ/ مايو – نوفمبر ٢٠٠٤م، وعنوانه: "ما يكتب بالضاد والظاء والمعنى مختلف" لابن فهد المكِّي: تحقيقاً ودراسة.
- بحث منشور في الإصدارة السادسة عشرة الملحقة بالعدد الرابع والخمسين من "مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية" بجمهورية مصر العربية، والصادر عام ٢٠٠٥م، وعنوانه: "أوجه الاتفاق والافتراق بين الخبر، والحال، والنعت".
- بحث منفرد منشور في العدد السادس والعشرين من "مجلة كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر" بالقاهرة في جمهورية مصر العربية، والصادر في ٢٠٠٧/٢٠٠٨م، وعنوانه: "الحذف في البنية: دراسة تحليلية تطبيقية على آيات سورة النساء".
- بحث منفرد منشور في المجلد الثامن عشر – العدد الأول من "مجلة الجامعة الإسلامية" بغزة/ فلسطين، والصادر في محرم ١٤٣١هـ – يناير ٢٠١٠م، وعنوانه: "الإمالة في التراث العربي: دراسة وصفية تحليلية من خلال قراءة حمزة".

# المحتوى


**الملخص** ..... ١١

**المقدمة** ..... ١٣

**المبحث الأول – كثرة الاستعمال: مفهوماً، ودلالةً** ..... ١٧

أولاً: مفهوم كثرة الاستعمال ..... ١٧

ثانياً: التعبيرات المستخدمة للدلالة على ظاهرة كثرة الاستعمال ..... ١٩

ثالثاً: ضوابط الترخص فيما كثر استعماله ..... ٢١

هوامش المبحث الأول ..... ٢٢

**المبحث الثاني – ظاهرة كثرة الاستعمال** ..... ٢٥

أولاً: مصادر الاستعمال ..... ٢٥

ثانياً: موقف النحاة واللغويين من كثرة الاستعمال ..... ٢٥

هوامش المبحث الثاني ..... ٣١

**المبحث الثالث – أثر كثرة الاستعمال: بنيةً، ونحواً، ودلالةً** ..... ٣٣

أولاً: أثر كثرة الاستعمال على المستوى البنيوي ..... ٣٣

ثانياً: أثر كثرة الاستعمال على المستوى النحوي ..... ٤٥

ثالثاً: أثر كثرة الاستعمال على المستوى الدلالي ..... ٥٠

هوامش المبحث الثالث ..... ٥٢

**المبحث الرابع – الأسس التي اعتمد عليها مجمع اللغة العربية في إجازة ما كثر استعماله حديثاً** ..... ٥٩

هوامش المبحث الرابع ..... ٨٧

**المبحث الخامس – كثرة الاستعمال والأصول اللغوية** ..... ٨٣

أولاً: كثرة الاستعمال والتوهم ..... ٨٣

ثانياً: كثرة الاستعمال والتخفيف ..... ٩٠

ثالثاً: كثرة الاستعمال والنحت ..... ٩١
رابعاً: كثرة الاستعمال والإمالة ..... ٩١
هوامش المبحث الخامس ..... ٩٣
**الخاتمة** ..... ٩٧
**المصادر والمراجع** ..... ٩٩

# الملخـص

تَنَاوَلَ الباحِثُ في هَذِهِ الدراسةِ ظاهِرَةَ "**كَثْرَةِ الاِسْتِعْمالِ بَيْنَ صِحَّةِ النَّصِّ وَمُقْتَضَى القاعِدَةِ**"، التي خَصَّصَ لَها القُدَماءُ مَباحِثَ لِتَناوُلِها شَرْحاً وتَفْصيلاً، في حِيْنِ أَنَّ المُحْدَثينَ لَمْ يَقُومُوا بِهَذَا الدَّوْرِ، وَلَكِنْ حَرَصُوا عَلَى التَّطْبيقِ العَمَلِيِّ لِمَا وَرَدَ عَنِ القُدَماءِ؛ فَمَجامِعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ تَعْتَدُّ بِكَثْرَةِ الاِسْتِعْمالِ اعْتِداداً وَاضِحاً في كَثيرٍ مِنْ قَراراتِها في الأَلْفاظِ والأَساليبِ، وَذَلِكَ عَلى المُسْتَوَى البِنْيَوِيِّ.

وَقَدْ أَثْبَتَ البَحْثُ أَنَّ لِكَثْرَةِ الاِسْتِعْمالِ تَأْثيراً عَلَى عَدَدٍ مِنَ الظَّواهِرِ الصَّوْتِيَّةِ، كَـ": الإِبْدَالِ، وإِسْكَانِ بَعْضِ الصَّوامِتِ، أَوْ تَحْرِيكِهَا، أَوْ قَلْبِهَا، أَوْ حَذْفِهَا، وكَذَلِكَ جَاءَتْ (كَثْرَةُ الاسْتِعْمالِ) دَليلاً عَلَى أَصَالَةِ بَعْضِ الأَصْواتِ، وَفَرْعِيَّةِ أُخْرَى.

وَعَلَى المُسْتَوَى النَّحْوِيِّ أَكَّدَ البَحْثُ صِحَّةَ فِكْرَةِ بِنَاءِ قَوَاعِدِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ عَلَى المُطَّرِدِ الشَّائِعِ خَاصَّةً الجُهْدَ الكَبيرَ الذي بَذَلَهُ البَصْرِيُّونَ.

كَمَا أَثْبَتَ، كَذَلِكَ، أَنَّ كَثْرَةَ الاِسْتِعْمالِ كَانَتْ عِلَّةً لِعَدَدٍ مِنَ الأُصُولِ ذَاتِ الشَّأْنِ التي شَكَّلَتْ صُورَةَ النَّحْوِ العَرَبِيِّ، وَمِنْها: الحَذْفُ، والاخْتِصارُ، وَالإِضْمارُ، وَالتَّقْديمُ، وَالتَّأْخِيرُ، وَالتَّخْفِيفُ، وَالتَّوَهُّمُ، وَالتَّرْخِيمُ.

أَمَّا عَلَى المُسْتَوى الدِّلَالِيِّ فَقَدْ أَوْضَحَ البَحْثُ أَثَرَ (كَثْرَةِ الاِسْتِعْمالِ) عَلَى الجَانِبِ الدلَالِيِّ، ضِيْقاً وَسَعَةً، وانْتِقَالاً، وَأَثْبَتَ أَنَّ لِكَثْرَةِ الاِسْتِعْمَالِ تَأْثِيراً مَلْحُوظاً في إِيْجَادِ عَلَاقَاتٍ دِلَالِيَّةٍ جَدِيدَةٍ.

# بسم الله الرحمن الرحيم

**المقدمة:**

الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أشْرَفِ المُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعِينَ، وَبَعْدُ ..

فَإنَّ النَّاظِرَ فِي التُّرَاثِ اللُّغَوِيِّ العَرَبِيِّ القَدِيمِ لَا تُخْطِئُ عَيْنَاهُ تَكْرَارَ بَعْضِ التَّرَاكِيبِ أوِ التَّعْبِيْرَاتِ، وَإنَّ مِنْهَا، بَلْ مِنْ أهَمِّهَا تَرْكِيْبَ : كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ ؛ فَهُوَ تَرْكِيْبٌ اسْتُعْمِلَ، وَكَثُرَ، وَشَاعَ، حَتَّى صَارَ مُصْطَلَحَاً، وَأفْرَدَ لَهُ بَعْضُ اللُّغَوِيِّيْنَ القُدَامَى بَعْضَ المَبَاحِثِ اللُّغَوِيَّةِ ذَاتِ الشَّأنِ وَالأهَمِّيَّةِ فِي التَّفْكِيرِ اللُّغَوِيِّ، وَإنَّهَا لَتَنْتَزِعُ أهَمِّيَّتَهَا مِنْ كَوْنِهَا دَلِيْلاً عَلَى نُضْجِ نَظْرَةِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ، وَشَهَادَةً لَهُمْ بِاعْتِدَادِهِمْ بِالنَّصِّ، وَجَعْلِهِ مَنَاطَ الدِّرَاسَةِ، وَمُسْتَنبَطَ الحُكْمِ، فَمِنْهُ يُبْتَدأُ، وَإلَيْهِ يُنْتَهَى ؛ إذْ مِنْهُ تُسْتَنْبَطُ القَاعِدَةُ، وَعَلَيْهِ تُحْكَمُ، وَهَذِهِ هِيَ الدَّعْوَةُ الكَبِيْرَةُ، وَالرَّايَةُ العَالِيَةُ التِي تُنْسَبُ إلَى النَّظَرِيَّاتِ اللِّسَانِيَّةِ الحَدِيْثَةِ.

هَذَا عَنْ (كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ) قَدِيمَاً، أمَّا حَدِيْثَاً فَإنَّهَا دُوْنَ أدْنَى شَكٍّ مُعْتَمَدُ عَمَلِ المَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، وَعَلَيْهَا يُعَوَّلُ فِي إجَازَةِ مَا يُجَازُ، وَبِهَا يُبَرَّرُ مَا خَرَجَ عَنْ مُطَّرِدِ القَوَاعِدِ.

وَإنَّ الدِّرَاسَاتِ التِي اهْتَمَّتْ بِمَوْضُوعِ هَذَا البَحْثِ الذِي يُمَثِّلُ جَانِبَاً مُهِمَّاً مِنْ جَوَانِبِ الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ وَالنَّحْوِيِّ العَرَبِيِّ نَادِرَةٌ، وَيَتَعَذَّرُ الاطِّلَاعُ عَلَى مَا وُجِدَ مِنْهَا، وَلَئِنْ كَانَ قُدَامَى اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ قَدْ أوْلَوْهُ اهْتِمَامَاً مَلْمُوسَاً تَرَدَّدَ ذِكْرُهُ فِي عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنْ مَسَائِلِ العَرَبِيَّةِ، وَتَخْرِيجِ شَوَاهِدَ كَثُرَ عَدَدُهَا كَثْرَةً وَاضِحَةً، وَإحْصَاءِ مَرَّاتِ تَكْرَارِ ألْفَاظٍ وَأسَالِيبَ، بَلْ تَخْصِيْصِ مَبَاحِثَ وَمَسَائِلَ، فَإنَّ المُحْدَثِينَ مِنْهُمْ لَمْ يُوْلُوهُ هَذَا القَدْرَ مِنْ الاهْتِمَامِ، وَلَمْ يُوَسِّعُوا لَهُ مَسَاحَةً كَافِيَةً فِي مُؤلَّفَاتِهِم، وَقَدْ كَانَ تَأثِيرُ ذَلِكَ سَيِّئَاً ؛ إذْ ظَنَّ العُجَّلُ أنَّ هَذِهِ الحَالَ هِيَ حَالُ اللُّغَوِيِّيْنَ وَالنُّحَاةِ : قُدَامَى وَمُحْدَثِينَ،

فَأَطْلَقَ حُكْمَهُ عَلَى الجَمِيعِ بِأَنَّ النَّحْوَ العَرَبِيَّ تَحْكُمُ القَاعِدَةُ نَصَّهُ، وَتَعَالَتْ أصْوَاتُ هَذِهِ الدَّعْوَى، وَتَنَامَتْ حَتَّى مَثَّلَتِ اتِّجَاهَاً كَامِلاً، وَمِنْ ثَمَّ وُجِدَتْ بُحُوثٌ تَدُلُّ عَنَاوِيْنُهَا كَثِيْرَاً عَلَى مَا تَحْوِيهِ، مِنْ مِثْلِ : القَاعِدَةِ، وَالنَّصِّ... إلخ.

لِمَا سَبَقَ رَأى البَاحِثُ أنْ يُعَنِّي النَّفْسَ رَاضِيَاً فِي جَمْعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ القَضِيَّةِ، وَتَصْنِيْفِهِ، وَدِرَاسَتِهِ فِي بَحْثٍ بِعُنْوَانِ : " كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ بَيْنَ صِحَّةِ النَّصِّ وَمُقْتَضَى القَاعِدَةِ "، وَأفْرَدَ لَهُ هَذِهِ الصَّفْحَاتِ دِرَاسَةَ مَفْهُومٍ : مَعْنَىً، وَدِلَالَةً، وَبَحْثَ أثَرٍ : بِنْيَةً، وَنَحْوَاً، وَدِلَالَةً، وَمِنْ ثَمَّ عَالَجَ هَذَا البَحْثُ عِدَّةَ قَضَايَا فِي مَبَاحِثَ خَمْسَةٍ، وَخَاتِمَةٍ تَضَمَّنَتْ أهَمَّ نَتَائِجِ البَحْثِ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي :

- **المَبْحَثُ الأوَّلُ : كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ : مَفْهُومَاً، وَدِلَالَةً، وَتَضَمَّنَ :**

أوَّلاً : مَفْهُومَ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ.

ثَانِيَاً : التَّعْبِيْرَاتِ المُسْتَخْدَمَةُ لِلدِّلَالَةِ عَلَى كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ.

ثَالِثَاً : ضَوَابِطَ التَّرَخُّصِ لِمَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ.

- **المَبْحَثُ الثَّانِي : ظَاهِرَةُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَتَنَاوَلَ :**

أوَّلاً : مَصَادِرَ الاسْتِعْمَالِ.

ثَانِيَاً : مَوْقِفَ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ مِنْ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ.

- **المَبْحَثُ الثَّالِثُ : أثَرُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ : بِنْيَةً، ونَحْوَاً، وَدِلَالَةً، وَقَدْ تَضَمَّنَ :**

أوَّلاً : أثَر كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ عَلَى المُسْتَوَى البِنْيَوِيِّ.

ثَانِيَاً : أثَر كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ عَلَى المُسْتَوَى النَّحْوِيِّ.

ثَالِثَاً : أثَر كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ عَلَى المُسْتَوَى الدِّلَالِيِّ.

- **المَبْحَثُ الرَّابِعُ : الأُسُسُ التِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي إجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ.**

- **المَبْحَثُ الخَامِسُ : كَثْرَة الاسْتِعْمَالِ وَالأُصُولَ اللُّغَوِيَّةَ، وَاحْتَوَى ما يأتي:**

أوَّلاً : كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَالتَّوَهُّمُ.

ثَانِيَاً : كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَالتَّخْفِيفُ.

ثَالِثَاً : كَثْرَةُ الاسْتعْمَالِ وَالنَّحْتُ.

رَابِعَاً : كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَالإِمَالَةُ.

ثُمَّ عَرَضَ البَاحِثُ فِي خَاتِمَةِ دِرَاسَتِهِ لأَهَمِّ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ مِنْ نَتَائِجَ.

وَلَقَدْ بَذَلَ البَاحِثُ قُصَارَى جُهْدِهِ، فَإِنْ يَكُنْ قَدْ وُفِّقَ فَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَمِنْ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم.

# المَبْحَثُ الأوَّلُ
# كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ: مَفْهُومَاً، وَدِلَالَةً

سَيَعْرِضُ البَاحِثُ فِي ثَنَايَا هَذَا المَبْحَثِ قَضِيَّتَيْنِ أسَاسِيَّتَيْنِ هُمَا:

## أوَّلاً – مَفْهُومُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ:

وَيَتَنَاوَلُ فِيهِ تَعْرِيفَ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ لُغَةً، وَاصْطِلَاحَاً:

أ – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ لُغَةً**: هُوَ تَعْبِيْرٌ مِنْ جُزْأيْنِ كِلَاهُمَا مَصْدَرٌ، وَهُمَا على نَحْوِ مَا يأتي:

الأوَّلُ: مَصْدَرُ الفِعْلِ (كَثُرَ)، وَهُوَ خِلَافُ القِلَّةِ، يَقُولُ الزُّبَيْدِيُّ: " الكَثْرَةُ نَقِيضُ القِلَّةِ "[١].

وَالثَّانِي: مَصْدَرُ الفِعْلِ: اسْتُعْمِلَ؛ أيْ: اسْتُخْدِمَ، يُقَالُ: حَبْلٌ مُسْتَعْمَلٌ؛ أيْ: قَدْ عُمِلَ بِهِ، وَمُهِنَ "[٢]، وَيُقَالُ: "اسْتَعْمَلْتُ الثَّوْبَ، وَنَحْوَهُ؛ أيْ: أعْمَلْتُهُ فِيمَا يُعَدُّ لَهُ "[٣].

ب – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ اصْطِلَاحَاً**: وَيُعَبَّرُ بِهِ عَنْ شُيُوعِ الاسْتِخْدَامِ اللُّغَوِيِّ وَذُيُوعِهِ قَدِيْمَاً وَحَدِيْثَاً، وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُ تَعْرِيْفُهُ اصْطِلَاحَاً بِأَنَّهُ: شُيُوعُ اسْتِخْدَامِ لَفْظٍ، أوْ تَرْكِيْبٍ، أوْ أسْلُوبٍ، وَفُشُوُّ تَنَاقُلِهِ.

وَالاسْتِعْمَالُ مِنْ أدِلَّةِ النَّحْوِ المُعْتَبَرَةِ. يَقُولُ ابْنُ الأنْبَارِيِّ: " أدِلَّةُ النَّحْوِ ثَلَاثَةٌ: نَقْلٌ، وَقِيَاسٌ، وَاسْتِصْحَابُ حَالٍ؛ فَالنَّقْلُ هُوَ الكَلَامُ العَرَبِيُّ المَنْقُولُ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ الخَارِجِ عَنْ حَدِّ القِلَّةِ إلَى حَدِّ الكَثْرَةِ "[٤]. فَمَا هُوَ حَدُّ القِلَّةِ وَالكَثْرَةِ اللَّذَيْنِ تَكَلَّمَ عَليهِمَا ابْنُ الأنْبَارِيِّ؟

لَقَدْ حَاوَلَ ابْنُ هِشَامٍ أنْ يُحَدِّدَ مَفْهُومَهُمَا؛ حَيْثُ قَالَ: " اعْلَمْ أنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ: غَالِبَاً، وَكَثِيرَاً، وَنَادِرَاً، وَقَلِيْلاً، وَمُطَّرِدَاً؛ فَالمُطَّرِدُ لَا يَتَخَلَّفُ، وَالغَالِبُ: أكْثَرُ الأشْيَاءِ، وَلَكِنَّهُ يَتَخَلَّفُ، وَالكَثِيرُ: دُونَهُ، وَالقَلِيلُ: دُونَهُ، وَالنَّادِرُ أقَلُّ مِنَ القَلِيلِ؛ فَالعِشْرُونَ

بِالنِّسْبَةِ إِلَى ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ : غَالِبٌ، وَالخَمْسَةَ عشرَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا : كَثْيْرٌ لَا غَالِبٌ، وَالثَّلَاثَةُ : قَلِيلٌ، وَالوَاحِدُ : نَادِرٌ، فَاعْلَمْ بِهَذَا مَرَاتِبَ مَا يُقَالُ فِيهِ ذَلِكَ " (٥).

وَعَلَّقَ الدُّكْتُورُ علي محمد أبو المكارم، عَلَى رَأيِ ابْنِ هِشَامٍ بِقَوْلِهِ : " وَمِثْلُ هَذَا الكَلَامِ دَلَّ عَلَى نَوْعٍ مِنَ التَّرْتِيبِ فِي عَلَاقَةِ كُلِّ مُصْطَلَحٍ مِنْهَا بِالآخَرِ، فَإِنَّهُ لَا يَتَضَمَّنُ تَحْدِيْدَاً لِهَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ، كَمَا لَا يَتَضَمَّنُهُ، أيْضَاً، ذَلِكَ المِثَالُ الذِي قَصَدَ بِهِ ابْنُ هِشَامٍ إِلَى تَوْضِيحِ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ " (٦).

ثُمَّ نَقَدَ مِثَالَ ابْنِ هِشَامٍ الذِي يُوَضِّحُ بِهِ مَرَاتِبَ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ قَائِلاً : " إِنَّ هَذَا المِثَالَ بِدَوْرِهِ لَا يُوَضِّحُ، بَلْ عَلَى العَكْسِ، يَحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيحٍ، فَقَدْ سَكَتَ، أوَّلاً، عَنِ المُطَّرِدِ، وَلَعَلَّهُ يَكْتَفِي بِمَا ذَكَرَهُ أوَّلاً مِنْ عَدَمِ تَخَلُّفِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ، ثَانِيَاً، لَمْ يَضَعْ حَدَّاً أدْنَى وَأقْصَى، بَلِ اعْتَمَدَ عَلَى أمْثِلَةٍ تَقْرِيبِيَّةٍ، وَهِيَ أمْثِلَةٌ لَا تَصْلُحُ لِوَضْعِ أُسُسٍ عِلْمِيَّةٍ تَتَّسِمُ بِالدِّقَّةِ لِتَقْوِيمِ النُّصُوصِ... وَمِنْ ذَلِكَ أنَّ المِثَالَ السَّابِقَ الذِي ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ جَعَلَ حَدَّ الكَثْرَةِ قُرَابَةَ سَبْعِينَ فِي المَائَةِ، وَجَعَلَ حَدَّ القِلَّةِ يُعَادِلُ قُرَابَةَ خَمْسَةَ عَشَرَ فِي المَائَةِ، دُوْنَ أنْ يَجْعَلَ لِمَا بَيْنَ هَذَيْنِ الاصْطِلَاحَيْنِ اصْطِلَاحَاً يَدُلُّ عَلَى دَرَجَةِ الكَمِّ قَبُولاً، أوْ رَفْضَاً ؛ أيْ : كِفَايَةً، أوْ قُصُورَاً " (٧).

وَقَدْ رَأى الدُّكْتُورُ محمد حماسة عبد اللطيف، أنَّ تفسيرَ ابْنِ هِشَامٍ تَفْسِيرٌ نِسْبِيٌّ تَنْقُصُهُ الدِّقَّةُ، فَقَالَ : " وَقَدْ حَاوَلَ ابْنُ هِشَامٍ أنْ يُحَدِّدَ هَذِهِ المُصْطَلَحَاتِ، فَقَالَ : اعْلَمْ أنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ غَالِبَاً... وَلَكِنَّ هَذَا التَّحْدِيدَ ـ كَمَا تَرَى ـ نِسْبِيٌّ تَنْقُصُهُ الدِّقَّةُ " (٨).

وَقَدْ حَاوَلَ أحَدُ أعْضَاءِ المَجْمَعِ اللُّغَوِيِّ القَاهِرِيِّ تَحْدِيدَ المَقْصُودِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ هِشَامٍ، فَجَعَلَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي إِطَارِ النِّسْبَةِ المِئَوِيَّةِ، فَقَالَ : " تَكُونُ النَّتِيْجَةُ هِيَ : المُطَّرِدُ الذِي مَثَّلَهُ بِثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ، وَجَعَلَهَا نِهَايَةً هُوَ (١٠٠٪)، وَالغَالِبُ، وَهُوَ (٢٠) مِنْ (٢٣)؛ أيْ : (٨٦ ٪)، أوْ (٨٧ ٪) تَقْرِيْبَاً، وَالكَثِيْرُ، وَهُوَ (١٥) مِنْ (٢٣) يُسَاوِي (٦٥٪)، وَالقَلِيلُ : وَهُوَ (٣) مِنْ (٢٣) يُسَاوِي (١٣٪)، وَالنَّادِرُ، وَهُوَ (١) مِنْ (٢٣) يُسَاوِي (٤,٣٪) تَقْرِيْبَاً، وَبِهَذَا يَكْتَفُونَ، وَلَا يَذْكُرُونَ الشُّذُوذَ فِي هَذَا المَقَامِ بَعْدَمَا وَصَلُوا إِلَى النُّدْرَةِ، وَهِيَ أقَلُّ القَلِيلِ " (٩).

وَقَدْ تَرَادَفَتْ عِدَّةُ مُصْطَلَحَاتٍ فِي التُّرَاثِ العَرَبِيِّ هِيَ : الأَصْلُ، وَالمُطَّرِدُ، وَالغَالِبُ، وَالأَكْثَرُ، وَالكَثِيرُ، وَالبَابُ، وَالقَاعِدَةُ، وَقَدْ أَصْدَرَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ قَرَارَاً بِخُصُوصِهَا، وَنَصُّهُ : " يَرَى المَجْمَعُ أَنَّ الكَلِمَاتِ التِي يَسْتَعْمِلُهَا قُدَامَى النَّحْوِيِّينَ وَالصَّرْفِيِّينَ، وَهِيَ : القِيَاسُ، وَالأَصْلُ، وَالمُطَّرِدُ، وَالغَالِبُ، وَالأَكْثَرُ، وَالكَثِيرُ، وَالبَابُ، وَالقَاعِدَةُ، أَلْفَاظٌ مُتَسَاوِيَةٌ فِي الدِّلَالَةِ عَلَى مَا يَنْقَاسُ "(١٠).

وَيَرَى البَحْثُ أَنَّ النُّحَاةَ وَاللُّغَوِيِّيْنَ الأوائل لَمْ يُعْنَوا كَثِيْرَاً بِتَحْدِيدٍ أَكْثَرَ لِمَفْهُومِ الكَثْرَةِ وَالقِلَّةِ ؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا فِي غِنَىً عَنْ ذَلِكَ، أَلَيْسُوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ أَصْحَابَ اللُّغَةِ ؟ أَلَيْسُوا هُمْ أَدْرَى بِالمُهْمَلِ وَالمُسْتَعْمَلِ، وَالكَثِيرِ وَالقَلِيلِ، وَالشَّائِعِ وَالشَّاذِّ ؟ أَلَيْسُوا هُمْ جَامِعِي شِعْرِهَا، وَرُوَاةَ مَنْثُورِهَا ؟

إِنَّ تُرَاثَ العَرَبِيَّةِ نُصْبَ أَعْيُنِهِم مَاثِلٌ، وَمِنْ ثَمَّ لَيْسُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى تَحْدِيدِ مَدْلُولِ مُصْطَلَحَي الكَثْرَةِ وَالقِلَّةِ ضَبْطَاً.

## ثَانِيَاً – التَّعْبِيرَاتُ المُسْتَخْدَمَةُ لِلدِّلَالَةِ عَلَى ظَاهِرَةِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ :

تَنَوَّعَتِ الأَسَالِيبُ وَاخْتَلَفَتْ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ شُيُوعِ اسْتِعْمَالٍ مَا وَذُيُوعِهِ، وَمِنْ ثَمَّ تَعَدَّدَتِ الاصْطِلَاحَاتُ، وَالتَّعْبِيرَاتُ، وَمِنْهَا :

أ – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ** : مِنَ التَّعْبِيْرَاتِ التِي تُسْتَخْدَمُ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الشُّيُوعِ وَالذُّيُوعِ : كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ، يَقُولُ سِيْبَوَيْهِ عَنْ حَذْفِ التَّنْوِينِ : " مِنْ كُلِّ اسْمٍ غَالِبٍ وُصِفَ بِـ (ابْنٍ)، ثُمَّ أُضِيفَ إِلَى اسْمِ غَالِبٍ، أَوْ كُنْيَةٍ، أَوْ أُمٍّ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : هَذَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو... وَلَيْسَ هَذَا بِقِيَاسٍ إِنَّمَا سَوَّغَتْهُ كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ التِي مَعَهَا يَخْرُجُ عَنِ القِيَاسِ، فَإِذَا قَالُوا : هَذَا أَخُو زَيْدٍ ابْنُ عَمْرٍو، إِذَا جَعَلْتَ (ابْنُ) صِفَةً لِلأَخِ ؛ لأَنَّ (أَخَا زَيْدٍ) لَيْسَ بِغَالِبٍ، فَلَا تَدَعِ التَّنْوِينَ فِيهِ... وَإِنَّمَا أَلْزَمْتَ التَّنْوِينَ وَالقِيَاسَ هَذِهِ الأَشْيَاءَ ؛ لأَنَّهُمْ لَهَا أَقَلُّ اسْتِعْمَالاً "(١١).

ب – **كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ** : وَمِنَ التَّعْبِيْرَاتِ التِي تُسْتَخْدَمُ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ : كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ، يَقُولُ سِيبَوَيْهِ : "وَغَيَّرُوا هَذَا ؛ لأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ كَانَ لَهُ نَحْوٌ لَيْسَ لِغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ مِثْلُهُ "(١٢).

وَقَدْ يُسْتَخْدَمُ بِصِيغَةِ المُضَارِعِ (يَكْثُرُ)، يَقُولُ ابْنُ خَالَوَيْهِ: "فَلَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي: صَانَ يَصُونُ...؛ إِذْ لَمْ يَكْثُرِ اسْتِعْمَالُهُمْ كَذَلِكَ"(١٣).

ت - **الأَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً، أَوْ الأَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ**: وَمِنَ التَّعْبِيْرَاتِ التِي تُسْتَخْدَمُ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ قَوْلُهُمْ: الأَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً، أَوْ الأَكْثَرُ فِي الكَلَامِ، يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "المَعَارِفُ الغَالِبَةُ أَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ. وَهُمْ لَهَا أَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً"(١٤). وَيَقُولُ أَيْضَاً: "فَالعَرَبُ يُغَيِّرُونَ الأَكْثَرَ فِي كَلَامِهِمْ عَنْ حَالِ نَظَائِرِهِ"(١٥). وَيَقُولُ: "إِلَّا أَنَّ ذَا أَكْثَرُ فِي كَلَامِهِم فَحَذَفُوهُ... وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أَصِفَهُ..."(١٦).

ث - **كَثِيْرٌ فِي كَلَامِهِمْ**: وَمِمَّا يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ كَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: وَهَذَا كَثِيرٌ، أَوِ اسْتَعْمَلُوهُ كَثِيرَاً، يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ اسْتَعْمَلُوهُ كَثِيْرَاً فِي الشِّعْرِ"(١٧).

ج - **كَثْرَةُ الدَّوَرَانِ، أَوِ الدَّوْرِ، أَوِ الوُرُودِ**: وَمِمَّا يُعَبَّرُ بِهِ عَنْ ظَاهِرَةِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ: كَثْرَةُ الدَّوَرَانِ، أَوِ الدَّوْرِ، أَوِ الوُرُودِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ: "وَقَدْ يَقُولُونَ: لِكَثْرَةِ دَوَرَانِهِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ"(١٨).

وَمِنْ ذَلِكَ، أَيْضَاً: قَوْلُ السُّيُوطِيِّ: "وَإِنَّمَا اخْتَصَّتِ الأَعْلَامُ بِالحِكَايَةِ دُونَ سَائِرِ المَعَارِفِ؛ لِكَثْرَةِ دَوْرِهَا، وَسَعَةِ الاسْتِعْمَالِ فِي بَابِ الإِخْبَارَاتِ، وَالعَلَامَاتِ، وَنَحْوِهَا..."(١٩).

ح - **شَاعَ، أَوِ اطَّرَد**: كَذَلِكَ قَدْ يُطْلِقُونَ: شَاعَ، أَوِ اطَّرَدَ، أَوْ أَحَدَهُمَا عَلَى مَا اصْطُلِحَ عَلَيْهِ بِـ(كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ)، وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ ابْنُ جِنِّي: "فَلَمَّا شَاعَ ذَلِكَ وَاطَّرَدَ صَارَ كَأَنَّهُ أَصْلٌ فِي بَابِهِ"(٢٠).

خ - **كَثْرَةُ التَّصَرُّفِ**: وَقَدْ يُطْلِقُونَ عَلَى كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ: كَثْرَةَ التَّصَرُّفِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ المُرَادِيِّ: "فَيُقَالُ: مُنْ رَبِّي لأَفْعَلَنَّ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمٌ، وَهُوَ بَقِيَّةُ (أَيْمُنٍ)؛ لِكَثْرَةِ تَصَرُّفِهِمْ فِيهَا"(٢١).

د - **كَثْرَةُ المُمَارَسَةِ**: وَحِيْنَاً يُطْلِقُونَ عَلَى كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ: كَثْرَةَ المُمَارَسَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- تَعْلِيلُ ابْنِ خَالَوَيْهِ لِكَثْرَةِ الأَسْمَاءِ التِي تُطْلَقُ عَلَى (الجَمَلِ)، وَ (النَّاقَةِ) بِأَنَّهُمْ "يُمَارِسُونَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ كَثِيْرَاً، فَيَنْطِقُونَ بِهِمَا عَلَى أَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ"(٢٢).

هَذَا مَا حَصَّلَهُ البَحْثُ مِمَّا وَرَدَ مِن اسْتِعْمَالَاتِ اللُّغَوِيِّيْنَ وَالنُّحَاةِ، وَيُقْصَدُ بِهِ : (كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ) مَجَال هَذَا البَحْثِ.

## ثَالِثَاً – ضَوَابِطُ التَّرَخُّصِ فِيمَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ :

إنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ يَتَرَخَّصُ مَعَهَا مَا لَا يَتَرَخَّصُ مَعْ سِوَاهَا، وَهَذَا لَيْسَ عَلَى إطْلَاقِهِ، فَقَدْ وَضَعَتِ اللُّغَةُ مَا يَضْبِطُ هَذَا التَّرَخُّصَ، وَهُوَ :

أ – **أمْنُ اللَّبْسِ** : لَقَدْ رَاعَتِ العَرَبُ أمْنَ اللَّبْسِ فِيْمَا تَرَخَّصَتْ فِيهِ ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ، مَثَلاً :

- حَذْفُ (الألِفِ) في الرسم مِنْ لَفْظِ الجَلَالَةِ (اللَّهِ) ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ مَع أمْنِ اللَّبْسِ، إذْ إنَّهُ مَعْ حَذْفِ (الألِفِ) لَمْ تَلْتَبِسِ اللَّفْظَةُ بِأُخْرَى، يَقُولُ ابْنُ عَقِيلٍ : "حُذِفَتِ الألِفُ مِنْ لَفْظِ الجَلَالَةِ (اللَّهِ)، وَالقِيَاسُ : إثْبَاتُ (الألِفِ)، كَمَا أُثْبِتَتْ في (اللَّامِ) ؛ لَكِنْ حَذَفُوهَا لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ مَعْ أمْنِ اللَّبْسِ"(٢٣).
- وَمِنْهَا : حَذْفُ (الألِفِ) في جَمْعَي التَّصْحِيحِ بِشَرْطِ أنْ يَكُونَ جَمْعُ المُؤَنَّثِ بِهِ أَلِفَانِ، نَحْوَ : عَابِدَاتٍ، وَلَا يُشْتَرَطُ هَذَا في جَمْعِ المُذَكَّرِ السَّالِمِ، وَيُشْتَرَطُ أنْ لَا يَلْتَبِسَ الجَمْعُ بِالمُفْرَدِ إذَا حُذِفَتْ مِنه (الألِفُ)، وَمِنْ ثَمَّ فَلَا يُحْذَفُ في (حَاذِرِينَ) جَمْعَ مُذَكَّرٍ سَالِمَاً ؛ لأنَّهُ يَلْتَبِسُ بـ (حَذِرِينَ)، وَلَا في (طَالِحَاتٍ) ؛ لأنَّهُ يَلْتَبِسُ بـ (طَلْحَاتٍ)(٢٤).

ب – **أنْ تَكُونَ كَثْرَةُ اسْتِعْمَالِهِ بَالِغَةً** : يُشْتَرَطُ لِلتَّرَخُّصِ مَع مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ أنْ تَكُونَ هَذِهِ الكَثْرَةُ بَالِغَةً، فَلَا يُكْتَفَى بمجرد الكَثْرَةِ، وَإذَا كَانَتْ كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ غَيْرَ وَاضِحَةٍ ذَائِعَةً لَمْ يُعْتَدّ بِهَا ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَحْذِفُوا (الألِفَ) في (شَيْطَانُ، وَدهْقَانُ)، وَقَوْلُ ابْنُ قُتَيْبَةَ : "لَمْ يَحْذِفُوهَا مِنْ شَيْطَانَ، وَدُهْقَانَ مَعْ (أَلْ) إجْمَاعَاً، وَالقِيَاسُ : الحَذْفُ، مَرْدُودٌ ؛ فَلَيْسَ في كُلٍّ مِنْهُمَا مَا في (الرَّحْمَنِ) ؛ لأنَّهُ لَمْ يَكْثُرِ اسْتِعْمَالُهَا كَثْرَةَ اسْتِعْمَالِ الرَّحْمَنِ"(٢٥).

هَذَا مَا ظَهَرَ للبَحْثِ مِنْ ضَابِطٍ للتَّرَخُّصِ مَعْ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُه.

## هوامش المبحث الأول

١ – الزبيدي، أبو الفيض، السيد محمد مرتضى، **تاج العروس في شرح جواهر القاموس**، مطبعة الكويت، دولة الكويت، ١٩٧٤م، مادة (كثر)، ج ١٧، ص١٤.

٢ – ابن منظور، أبوالفضل، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مادة (عمل)، ج ٤، ص ٣١٠٩.

٣ – الفيومي، أحمد بن محمد علي المقري، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مادة (عمل)، ص ٤٣٠.

٤ – ابن الأنباري، كمال الدين، عبد الرحمن، **الإغراب في جدل الإعراب**، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥٧م، ص٨١.

٥ – السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال، **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق: أحمد محمد قاسم، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٦ هـ/ ١٩٧٦م، ص٥٩.

٦ – أبو المكارم، علي محمد، **أصول التفكير النحوي**، منشورات كلية التربية بالجامعة الليبية، طرابلس – ليبيا، ١٩٧٣م، ص٢٦٨.

٧ – المرجع السابق، ص٢٦٩.

٨ – عبد اللطيف، محمد حماسة، **لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية**، ط ١، دار الشروق، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، ص٨٢.

٩ – أحمد، محمد خلف الله وزميله، كتاب في أصول اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م، ص١٢٩.

١٠ – مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٤، ص٨٦.

١١ – سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ج ٣، ص٥٠٥ – ٥٠٨.

١٢ – المرجع السابق، ج ٢، ص١٩٦.

١٣ – ابن خالويه، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد، **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤١م، ص٢٣١.

١٤ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٢، ص٢٥٦.

١٥ – المرجع السابق، ج ٢، ص١٩٦.

١٦ – المرجع السابق، ج ٣، ص٥٠٣.

١٧ – المرجع السابق، ج ٢، ص٢٥١.

١٨ – الزمخشري، جار الله، محمود بن عمر، **المحاجاة بالمسائل النحوية**، تحقيق: بهيجة بنت باقر الحسيني، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ص١٧٤.

١٩ – السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال، **الأشباه وَالنظائر في النحو**، تحقيق: عبد الإله نبهان وزملائه، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٥ – ١٩٨٧م، ج١، ص١٣٤.

٢٠ – ابن جني، أبو الفتح، عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م، ج ١، ص٣٠٣.

٢١ – المرادي، الحسن بن أم قاسم، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: فخر الدين قباوة وزميله، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص٣٢١.

٢٢ – ابن خالويه، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد، **ليس في كلام العرب**، تحقيق: محمد أبو الفتوح شريف، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٨٥.

٢٣ – ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن، **المساعد على تسهيل الفوائد**، تحقيق: محمد كامل بركات، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ج٤، ص٣٦٧.

٢٤ – المرجع السابق، ج ٤، ص٣٧٣ (باختصار).

٢٥ – المرجع السابق، ج ٤، ص٣٦٧.

# المَبْحَثُ الثَّاني
# ظَاهِرَةُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ

يَتَنَاوَلُ البَحْثُ هُنَا نُقْطَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ هُمَا :

## أوَّلاً – مَصَادِرُ الاسْتِعْمَالِ :

إنَّ الاسْتِعْمَالَ لَهُ مَصَادِرُ ثَلَاثَةٌ هِيَ : كَلَامُ العَرَبِ مَنْظُوماً وَمَنْثُوراً، وَالقُرْآنُ الكَرِيمُ بِقِرَاءَاتِهِ، وَالحَدِيثُ الشَّرِيْفُ بِرِوَايَاتِهِ، يَقُولُ السُّيُوطِيُّ عَنْهُ : "مَا ثَبَتَ فِي كَلَامِ مَنْ يُوثَقُ بِفَصَاحَتِهِ، فَشَمِلَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ القُرْآنُ، وَكَلَامَ نَبِيِّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَلَامَ العَرَبِ قَبْلَ بَعْثَتِهِ، وَفِي زَمَنِهِ، وَبَعْدَهُ إِلَى أنْ فَسَدَتِ الألْسِنَةُ بِكَثْرَةِ المُوَلَّدِينَ نَظْمَاً وَنَثْرَاً، عَنْ مُسْلِمٍ، أوْ كَافِرٍ"(١).

## ثَانِيَاً – مَوقِفُ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ مِنْ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ :

إنَّ مَوْقِفَ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّيْنَ مِنْ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ مُخْتَلِفٌ، وَسَيُبَيِّنُ البَحْثُ هَذَا الخِلَافَ، وَالأُصُولَ التِي بُنِيَ عَلَيْهَا.

وَالقَوْلُ بِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ قَدِيْمٌ قِدَمَ نُصُوصِ النُّحَاةِ التِي وَصَلَتْنَا، وَلَكِنِ اخْتُلِفَ فِي : هَلِ الكَثْرَةُ مَحْكُومٌ بِهَا عَلَى النُّصُوصِ بَعْدَمَا نَطَقَتْ بِهَا العَرَبُ، وَأكْثَرَتْ مِن اسْتِعْمَالِ بَعْضِهَا لأَسْبَابٍ رَأتْهَا، وَلِعِلَلٍ رَاعَتْهَا، أو هِيَ مُرَاعَاةٌ مُنْذُ بِدَايةِ نُطْقِ العَرَبِ بالنُّصُوصِ، حَيْثُ رَأتْ أنْ تُكْثِرَ مِنْ كَذَا، وَأنْ تُقَلِّلَ مِنْ كَذَا ؟

فَقَدْ ذَهَبَ الأخْفَشُ إِلَى الرَّأيِ الثَّانِي مُخَالِفَاً رَأيَ الجُمْهُورِ، يَقُولُ ابْنُ جِنِّي : "وَكَانَ أبُو الحَسَنِ يَذْهَبُ إِلَى أنَّ مَا غُيِّرَ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ إنَّمَا تَصَوَّرَتْهُ العَرَبُ قَبْلَ وَضْعِهِ، وَعَلِمَتْ أنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ إيَّاهُ، فَابْتَدَؤوا بِتَغْيِيرِهِ، عِلْمَاً بِأنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ كَثْرَتِهِ الدَّاعِيَةِ إِلَى تَغْيِيرِهِ"(٢).

وَرَأيُ أبي الحَسَنِ الأخْفَشِ مُخَالِفٌ لِرَأي الجُمْهُورِ، وَلَا يَرَاهُ البَحْثُ صَوَابَاً لأمْرَيْنِ، هُمَا :

أ – لَمْ تَكُنِ العَرَبُ تُخْضِعُ لُغَتَهَا للتَّصَوُّرَاتِ المَنْطِقِيَّةِ، بِحَيْثُ تَسْتَطِيعُ أنْ تُحَدِّدَ قَوَائِمَ بِمَا تَحْتَاجُ إلَيهِ مِنْ تَعْبِيرَاتٍ، ثُمَّ تَجْتَمِعُ لِوَضْعِهَا.

ب – هُوَ مُخَالِفٌ للثَّابِتِ المَعْلُومِ عَنْ لُغَةِ العَرَبِ، وَمِنْ ثَمَّ، فَكَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ ثَابِتَةٌ لِبَعْضِ المُفْرَدَاتِ وَالتَّرْكِيبَاتِ عَنِ العَرَبِ ارْتِجَالاً، وَقَدِ اعْتَدَّ بِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ اللُّغَوِيُّونَ وَالنُّحَاةُ صَنْعَةً، وَمِنْ ذَلِكَ مَا وَرَدَ عَنْ أبِي عَمْرو بْنِ العَلَاءِ فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ نُوفَل، قَالَ: "سَمِعْتُ أبِي يَقُولُ لأَبِي عَمْرِو بْنِ العَلَاءِ: أَخْبِرْنِي عَمَّا وَضَعْتَ مِمَّا سَمَّيْتَهُ عَرَبِيَّةً، أَيَدْخُلُ فِيهِ كَلَامُ العَرَبِ كُلُّهُ؟ فَقَالَ: لَا، فَقُلْتُ: كَيْفَ تَصْنَعُ فِيمَا خَالَفَتْكَ فِيهِ العَرَبُ؟ فَقَالَ: أَحْمِلُ عَلَى الأَكْثَرِ، وَأُسَمِّي مَا خَالَفَنِي لُغَاتٍ"[٣].

وَقَد وَرَدَ الاسْتِخْدَامُ نَفْسُه عِنْدَ سِيبَوَيْهِ (ت ١٨٠هـ)، وَالفَرَّاءِ (ت ٢٠٧هـ)، وَأَحْمَدَ بْنِ فَارِسٍ (ت ٢٩٥هـ)، وَالسِّيرَافِيِّ (ت ٣٦٨هـ)، وَابْنِ خَالَوَيْهِ (ت ٣٧٠هـ)، وَابْنِ جِنِّي (ت ٣٩٢هـ)، وَسَتَرِدُ نُصُوصٌ كَثِيْرَةٌ لِهَؤلَاءِ الأعْلَامِ جَمِيْعَاً فِي مَطَاوِي هَذَا البَحْثِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ قَضَايَاهُ، وَبِهَا يَتَرَدَّدُ ذِكْرُ مُصْطَلَحِ "كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ"، أوْ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَسَارَ مَنْ أتَى بَعْدَهُمْ مِنَ العُلَمَاءِ عَلَى نَهْجِهِمْ فِي تَنَاوُلِ هَذَا المُصْطَلَحِ إلَى الآنَ.

وَقَدْ كَانَ مَوْقِفُ البَصْرِيِّينَ هُوَ الاعْتِدَادَ بِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، كَمَا قَالَ أبُو عَمْرِو ابْنِ العَلَاءِ، وَمَوْقِفُ الكُوفِيِّينَ يَتَمَثَّلُ فِي أنَّهُمْ يَعْتَدُّونَ بالقَلِيلِ وَالشَّاذِّ، وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي تَقْيِيمِ مَوْقِفِهِمَا:

فَالدُّكْتُورُ أحمد مَكِّي الأنصاري، يَرَى أنَّهُ "قَدْ أثْبَتَ البَحْثُ الحَدِيثُ صِحَّةَ مَنْهَجِ الكُوفِيِّينَ"[٤].

فِي حِينِ رَفَضَ الدُّكْتُورُ إبراهيم أنيس، هَذَا الرَّأيَ، فَقَالَ: "أمَّا الكُوفِيُّونَ فَقَدْ أسَّسُوا القِيَاسَ عَلَى كُلِّ مَا رُوِيَ عَنِ العَرَبِ مَهْمَا قَلَّتْ شَوَاهِدُهُ، وَقَدْ يُظَنُّ لأوَّلِ وَهْلَةٍ أنَّ فِي نَظْرَةِ الكُوفِيِّينَ تَيْسِيرَاً عَلَيْنَا نَحْنُ المُوَلَّدِينَ... غَيْرَ أنَّ الأخْذَ بِمَذْهَبِ الكُوفِيِّيْنَ قَدْ يُؤدِّي بِنَا فِي آخِرِ الأمْرِ إلَى نَوْعٍ مِنْ الاضْطِرَابِ وَالفَوْضَى فِي تَقْعِيدِ القَوَاعِدِ، وَتَنْظِيمِ مَسَائِلِ اللُّغَةِ"[٥]، وَقَدْ تَجَلَّى مَوْقِفُهُمُ النَّظَرِيُّ هَذَا فِي تَطْبِيْقَاتِهِم العَمَلِيَّةِ[٦].

– **العَلَاقَةُ بَيْنَ الاسْتِعْمَالِ وَالقِيَاسِ** : إنَّ العَلَاقَةَ بَيْنَ الاسْتِعْمَالِ وَالقِيَاسِ لَهَا عِدَّةُ صُوَرٍ، هِيَ :

أ – مُطَّرِدٌ فِي القِيَاسِ وَالاسْتِعْمَالِ جَمِيْعَاً.

ب – شَاذٌّ فِي القِيَاسِ وَالاسْتِعْمَالِ جَمِيْعَاً.

ت – مُطَّرِدٌ فِي القِيَاسِ شَاذٌّ فِي الاسْتِعْمَالِ.

ث – مُطَّرِدٌ فِي الاسْتِعْمَالِ شَاذٌّ فِي القِيَاسِ.

وَقَدْ فَصَّلَ ذَلِكَ ابْنُ جِنِّي – متابعاً لأستاذه أبي علي الفارسي – فَقَالَ : "ثُمَّ اعْلَمْ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَنَّ الكَلَامَ فِي الاطِّرَادِ وَالشُّذُوذِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْرُبٍ :

أ – مُطَّرِدٌ فِي القِيَاسِ وَالاسْتِعْمَالِ جَمِيْعَاً، وَهَذَا هُوَ الغَايَةُ المَطْلُوبَةُ، وَالمَثَابَةُ المَنُوبَةُ، وَذَلِكَ نَحْوَ : قَامَ زَيْدٌ، وَضَرَبْتُ عَمْرَاً، وَمَرَرْتُ بِسَعِيدٍ.

ب – وَمُطَّرِدٌ فِي القِيَاسِ شَاذٌّ فِي الاسْتِعْمَالِ، وَذَلِكَ نَحْوَ : المَاضِي مِنْ : يَذَرُ، وَيَدَعُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : مَكَانٌ مُبْقِلٌ، هَذَا هُوَ القِيَاسُ، وَالأَكْثَرُ فِي السَّمَاعِ : بَاقِلٌ.

ت – وَمُطَّرِدٌ فِي الاسْتِعْمَالِ شَاذٌّ فِي القِيَاسِ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ : أَخْوَصَ الرِّمْثُ، وَاسْتَصْوَبْتُ الأَمْرَ.

ث – وَشَاذٌّ فِي القِيَاسِ وَالاسْتِعْمَالِ جَمِيْعَاً، وَهُوَ كَ : تَتْمِيْم مَفْعُولِ مَا عَيْنُهُ وَاوٌ، نَحْوَ : ثَوْبٌ مَصْوُونٌ، وَمِسْكٌ مَدْوُوفٌ "(٧).

وَلِلأُسْتَاذِ عباس حسن، عَلَى هَذَا الرَّأيِ مَلْحُوظَاتٌ، قَالَ : "وَإِنِّي أَلْحَظُ فِي هَذَا الرَّأيِ غُمُوضَاً، وَتَنَاقُضَاً :

أ – فَأَمَّا الغُمُوضُ فَمَرَدُّهُ إِلَى اعْتِمَادِهِ فِي الاطِّرَادِ وَالقِيَاسِ عَلَى الشُّيُوعِ وَالكَثْرَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبَيِّنَ مَدَاهُمَا، وَلَا حُدُودَهُمَا.

ب – وَأَمَّا التَّنَاقُضُ فَحَيْثُ يَقُولُ فِيمَا سَبَقَ : إنَّ الشَّاذَّ فِي القِيَاسِ وَالاسْتِعْمَالِ مَعَاً لَا يَجُوزُ القِيَاسُ عَلَيْهِ، وَلَا رَدُّ غَيرِهِ إِلَيهِ، وَيَضْرِبُ لِذَلِكَ مَثَلاً بِـ : تَتْمِيم مَفْعُولِ مَا عَيْنُه وَاوٌ، نَحْوَ : ثَوْبٌ مَصْوُونٌ... وَقَدْ قَرَّرَ ابْنُ جِنِّي وَغَيْرُهُ أَنَّ النَّاطِقَ عَلَى قِيَاسٍ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ مُصِيبٌ غَيْرُ مُخْطِئ، فَكَلَامُهُ هُنَا مُنَاقِضٌ لِمَا سَبَقَ أَنْ قَرَّرَهُ هُوَ، وَسِوَاهُ "(٨).

وَقَدْ أَخَذَ الدُّكْتُورُ أحمد عبد العظيم، عَلَى الأُسْتَاذِ عباس حسن، رَأْيَهُ فِي نَصِّ ابْنِ جِنِّي، حَيْثُ يَقُولُ: "وَالغَرِيبُ اللَّافِتُ لِلنَّظَرِ المُسْتَحَقُّ للتَّسْجِيلِ أنَّ صَاحِبَنَا يَجْمَعُ فِي مَنْهَجٍ وَاحِدٍ مَا يَلِي:

أ – تَقْرِيرُ فَسَادِ مَقَالَةِ الكَثْرَةِ مُوَضِّحَاً مَا أَدَّتْ إِلَيْهِ فِي مَنْهَجِ السَّالِفِينَ، دَاعِيَاً إِلَى الابْتِعَادِ عَنْهَا، وَعَدَمِ الاعْتِمَادِ عَلَيْهَا، بَلْ مُوجِبَاً . أَحْيَانَاً . عَدَمَ مُحَاكَاةِ المَسْمُوعِ، وَعَدَمَ القِيَاسِ عَلَيْهِ.

ب – الدَّعْوَةُ إِلَى نُصْرَةِ تِلْكَ المَقَالَةِ، وَالحَثُّ عَلَى الأَخْذِ بِهَا، وَالاعْتِمَادُ عَلَيْهَا مَنْهَجَاً لِلدُّسْتُورِ الأَقْوَمِ، وَطَرِيْقَاً وَحِيدَةً للتَّشْرِيعِ اللُّغَوِيِّ المَأْمُونِ.

ت – عَدَمُ الْتِزَامِ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ نُصْرَةِ مَقَالَةِ الكَثْرَةِ ؛ إِذْ لَا يَطَّرِدُ لَهُ مَا يَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَيُنَاصِرُ الكَثْرَةَ حِيْنَاً، وَيَخْذِلُهَا بِالتَّخَلِّي عَنْهَا حِيْنَاً آخَرَ"(٩).

وَتَتَلَخَّصُ هَذِهِ العَلَاقَةُ بَيْنَ الاسْتِعْمَالِ وَالقِيَاسِ فِي أُمُورٍ، هِيَ:

**أ – كَثِيرٌ فِي الاسْتِعْمَالِ قَوِيٌّ مِنْ جِهَةِ القِيَاسِ**: وَقَدْ حَظِيَ هَذَا النَّوْعُ بِاهْتِمَامِ اللُّغَوِيِّيْنَ وَالنُّحَاةِ، قَالَ ابْنُ جِنِّي: "إِذَا فَشَا الشَّيْءُ فِي الاسْتِعْمَالِ، وَقَوِيَ فِي القِيَاسِ فَذَلِكَ مَا لَا غَايَةَ وَرَاءَهُ"(١٠).

وَمِثَالُ ذَلِكَ: الحُكْمُ بِرَفْعِ الضَّمِيرِ بَعْدَ (لَوْلَا) مَحَلاً ؛ لِكَثْرَتِهِ فِي الاسْتِعْمَالِ، وَقُوَّتِهِ فِي القِيَاسِ ؛ فَقَدْ ذَهَبَ البَصْرِيُّونَ إِلَى أَنَّ عَامِلَ الرَّفْعِ فِي الاسْمِ الوَاقِعِ بَعْدَ (لَوْلَا) هُوَ الابْتِدَاءُ، وَإِذَا حَلَّ الضَّمِيرُ مَحَلَّ هَذَا الاسْمِ فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ، وَقَدْ أَرْجَعُوا ذَلِكَ إِلَى كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَالقِيَاسِ.

يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ: "إِنَّ الاسْمَ الوَاقِعَ بَعْدَ (لَوْلَا) الظَّاهِرَ يَرْتَفِعُ بِالابْتِدَاءِ عِنْدَ جَمَاعَةِ البَصْرِيِّينَ، فَإِذَا كُنِّيَ عَنْهُ فَيَنْبَغِي أَلَّا يَخْتَلِفَ إِعْرَابُه ؛ لأَنَّ العَامِلَ فِي الحَالَيْنِ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا كَانَ ظَاهِرَاً يَكُونُ مَرْفُوعَاً بِالابْتِدَاءِ، فَكَذَلِكَ إِذَا كُنِّيَ عَنْهُ يَكُونُ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ بِالابْتِدَاءِ، وَيَكُونُ لَفْظُهُ مِنَ الضَّمَائِرِ المَرْفُوعَةِ المُنْفَصِلَةِ، هَذَا هُوَ القِيَاسُ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الاسْتِعْمَالِ، فَعَلَى ذَلِكَ تَقُولُ: لَوْلَا أَنْتَ، وَلَوْلَا أَنْتُمَا، وَلَوْلَا أَنْتُمْ، قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى : ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾(١١)، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَهُوَ يَحْدُو بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

[١] لَا هُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا
وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا"(١٢)

**ب- كَثِيْرٌ فِي الاسْتِعْمَالِ، وَلَا يُقَاسُ عَلَيْهِ :** قَدْ يَكْثُرُ الشَّيْءُ اسْتِعْمَالاً، وَلَا يُقَاسُ عَلَيهِ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ :

مَجِيءُ المَصْدَرِ حَالاً، يَقُولُ سِيبَوَيْهِ : "وَذَلِكَ قَوْلُكَ : قَتَلْتُهُ صَبْرَاً، وَلَقِيْتُهُ فُجَاءَةً وَمُفَاجَأةً، وَكِفَاحَاً وَمُكَافَحَةً، وَلَقِيتُهُ عِيَانَاً، وَكَلَّمْتُهُ مُشَافَهَةً، وَأَتَيْتُهُ رَكْضَاً، وَعَدْوَاً، وَمَشْيَاً، وَأَخَذْتُ ذَلِكَ عَنْهُ سَمْعَاً وَسَمَاعَاً، وَلَيْسَ كُلُّ مَصْدَرٍ وَإِنْ كَانَ فِي القِيَاسِ مِثْلَ مَا مَضَى مِنْ هَذَا البَابِ، يُوْضَعُ هَذَا المَوْضِعَ ؛ لأَنَّ المَصْدَرَ هَهُنَا فِي مَوْضِعِ فَاعِلٍ إِذَا كَانَ حَالاً. أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ : أَتَانَا سُرْعَةً، وَلَا أَتَانَا رُجْلَةً، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَصْدَرٍ يُسْتَعْمَلُ فِي بَابِ سَقْيَاً، وَحَمْدَاً"(١٣).

وَقَدْ وَرَدَ المَصْدَرُ حَالاً كَثِيرَاً، وَرُغْمَ ذَلِكَ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ، يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ : "وَلَيْسَ بِقِيَاسٍ مُطَّرِدٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِيمَا اسْتَعْمَلَتْهُ العَرَبُ ؛ لأَنَّهُ شَيْءٌ وَضِعَ مَوْضِعَ غَيْرِهِ، كَمَا أَنَّ بَابَ (سَقْيَاً، وَرَعْيَاً، وَحَمْدَاً) لَا يَطَّرِدُ فِيهِ القِيَاسُ، فَيُقَالُ فيه : طَعَامَاً، وَشَرَابَاً، وَكَانَ أَبُو العَبَّاسِ يُجِيزُ هَذَا فِي كُلِّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ الفِعْلُ...، وَكَانَ يَقُولُ : إِن نَصْبَ (مَشْيَاً)، وَشِبْهَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالفِعْلِ المُقَدَّرِ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَتَانَا يَمْشِي مَشْيَاً، وَالصَّحِيحُ مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ، وَعَلَيْهِ الزَّجَّاجُ"(١٤).

**ت – التَّعَارُضُ بَيْنَ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ وَالقِيَاسِ :** قَدْ يَتَعَارَضُ الاسْتِعْمَالُ وَالقِيَاسُ، يَقُولُ ابْنُ جِنِّي : "وَإِنْ شَذَّ الشَّيْءُ فِي الاسْتِعْمَالِ، وَقَوِيَ فِي القِيَاسِ كَانَ اسْتِعْمَالُ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ أَوْلَى، وَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ قِيَاسُهُ إِلَى مَا انْتَهَى إِلَيْهِ اسْتِعْمَالُهُ"(١٥)، وَمِثَالُ ذَلِكَ : اسْتِعْمَالُ (دُنْيَا) بِغَيْرِ (أَلْ).

وَيَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ : "القِيَاسُ فِي (دُنْيَا) : أَنْ يَكُونَ بِالأَلِفِ وَاللَّامِ ؛ لأَنَّهُ صِفَةٌ فِي الأَصْلِ عَلَى زِنَةِ (فُعْلَى)، وَمُذَكَّرُهُ : (الأَدْنَى)، وَالأَلِفُ وَاللَّامُ تَلْزَمُ هَذِهِ الصِّفَةَ إِلَّا أَنَّهُمْ

اسْتَعْمَلُوا (دُنْيَا) اسْتِعْمَالَ الأسْمَاءِ، فَلَا يَكَادُونَ يَذْكُرُونَ مَعَهُ المَوْصُوفَ، وَلِذَلِكَ قَلَبُوا (اللَّامَ) مِنْهُ (يَاءً) ؛ لِضَرْبٍ مِنَ التَّعَادُلِ وَالعِوَضِ، كَأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِذَلِكَ الفَرْقَ بَيْنَ الاسْمِ وَالصِّفَةِ، فَلَمَّا غَلَبَ عَلَيْهَا حُكْمُ الأسْمَاءِ أَجْرَوْهَا مَجْرَى الأسْمَاءِ، وَكَانَتِ (الألِفُ وَاللَّامُ) لَا تَلْزَمُ الاسْمَ، فَاسْتَعْمَلُوهَا بِغَيْرِ (الألِفِ وَاللَّامِ) كَسَائِرِ الأسْمَاءِ ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ مَوْصُوفٍ، نَحْوَ قَوْلِ العَجَّاجِ [مِنَ الرَّجَزِ] :

[٢] **يَـوْمَ تَـرَى الـنُّـفُـوسَ مَـا أَعَـدَّتِ**

**فِي سَعْيِ دُنْيَا طَالَمَا قَدْ مُدَّتِ**(١٦)

**ث – عَلَاقَةُ الاسْتِعْمَالِ القَلِيلِ بِالقِيَاسِ :** قَدْ يُقَاسُ عَلَى قَلِيلِ الاسْتِعْمَالِ، يَقُولُ ابْنُ جِنِّي : "يَقِلُّ الشَّيْءُ وَهُوَ قِيَاسٌ، وَيَكُونُ غَيْرُهُ أَكْثَرَ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِقِيَاسٍ... فَلَا غَرْوَ، وَلَا مَلَامَ "(١٧).

فَابْنُ جِنِّي يُجِيزُ القِيَاسَ عَلَى قَوْلِهِمْ : (شَنَئِيٌّ) فِي النَّسَبِ إِلَى (شَنُوءَةٍ) ؛ لأَنَّهُ هُوَ كُلُّ مَا وَرَدَ عَنِ العَرَبِ، كَمَا أَنَّهُ صَحِيحٌ مِنْ جِهَةِ القِيَاسِ ؛ حَيْثُ تُقَاسُ (فَعُولَةٌ) عَلَى (فَعِيلَةٍ)(١٨).

وَقَدْ رَفَضَ جُمْهُورُ البَصْرِيِّينَ القِيَاسَ عَلَى قَلِيلِ الاسْتِعْمَالِ، وَتَابَعَهُمْ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ مِن النُّحَاةِ، وَمِنْ ثَمَّ وَجَدْنَاهُمْ يُكَرِّرُونَ قَوْلَهُمْ : "وَهَذَا قَلِيلٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ".

أَمَّا نُحَاةُ الكُوفِيِّينَ فَقَدْ قَاسُوا عَلَى القَلِيلِ، وَالنَّادِرِ.

## هوامش المبحث الثاني

١ – السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال، **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق: أحمد محمد قاسم، ط ١، القاهرة، ص ٤٨.

٢ – ابن جني، **الخصائص**، ج ٢، ص ٣١.

٣ – الزبيدي، أبو بكر، محمد بن الحسين، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م، ص ٣٩.

٤ – الأنصاري، أحمد مكّي، **أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة**، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٣٥٩.

٥ – أنيس، إبراهيم، **من أسرار اللغة**، ط ٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٢.

٦ – انظر الأمثلة التي تُبَيِّنُ موقف البصريين وَالكوفيين من الاستعمال في: ابن الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ١، ص ٦٦، ٢١٤، ج ٢، ص ٧٢٣، وابن يعيش، أبو البقاء، يعيش بن علي، **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، د. ت، ج ٣، ص ٧٧.

٧ – ابن جنّي، **الخصائص**، ج ١، ص ٩٨ – ١٠١.

٨ – حسن، عباس، **اللغة والنحو بين القديم والحديث**، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٥٦ ـ ٥٩.

٩ – عبد الغني، أحمد عبد العظيم، **معايير الرفض والقبول في الدرس النحوي عند عباس حسن: دراسة تحليلية في النظر والتطبيق**، دار النصر للتوزيع والنشر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٤٣.

١٠ – ابن جنِّي، **الخصائص**، ج ١، ص ٩٨.

١١ – من الآية ٣١ من **سورة سبأ**.

١٢ – من الرجز، وهو في **ديوانه**، جمع وتحقيق : حسن محمد باجودة، ط ١، مكتبة التراث، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ١٠٨، وينسب لعامر بن الأكوع في : العيني، بدر الدين، محمود بن أحمد بن موسى، **المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية**، دار صادر، بيروت، د. ت، ج ٤، ص ٤٥١. وبلا نسبة في : ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٣، ص ١١٨، والأشموني، أبو الحسن، علي بن محمد، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت، ج ٣، ص ٥٩٣.

١٣ – سيبويه، **الكتاب**، ج ١، ص ٣٧٠ – ٣٧١.

١٤ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٢، ص ٥٩.

١٥ – ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ١٢٥.

١٦ – الأصمعي، عبد الملك بن قريب، **شرح ديوانه**، تحقيق : عزّة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ٢٦٢، وابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٦، ص ١٠٠ (باختصار)، والبغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٢٩٦ – ٢٩٩.

١٧ – ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ١١٥ – ١١٦.

١٨ – المرجع السابق، ج ١، ص ١١٥.

# المَبْحَثُ الثَّالِثُ
# أثَرُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ: بِنْيَةً، ونَحْواً، وَدِلَالَةً

إنَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ أثَراً مَلْحُوظاً في النُّصُوصِ اللُّغَوِيَّةِ سَوَاْء كَانَ ذَلِكَ عَلى المُسْتَوَى البِنْيَوِيِّ، أوْ عَلَى المُسْتَوَى النَّحْوِيِّ، أوْ عَلَى المُسْتَوَى الدِّلَالِيِ، وَسَيُبَيِّنُ البَحْثُ دَوْرَهَا في كُلٍّ مِنْهَا، وَذَلِكَ كَمَا يَأتِي:

## أوَّلاً – أثَرُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ عَلَى المُسْتَوَى البِنْيَوِي:

ظَهَرَ أثَرُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ وَاضِحاً عَلَى مُسْتَوَى البِنْيَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

**أ – عَدَمُ التَّعْوِيضِ عَنِ المَحْذُوفِ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ:** إنَّ مِنْ أثَرِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ في البِنْيَةِ: أنَّهُ إذَا حُذِفَ مِنْهَا بَعْضُهَا لَمْ يُعَوَّضْ عَنْهُ مَا دَامَ الحَذْفُ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، ذَهَبَ الفَرَّاءُ إلَى: "أنَّ (كَمْ) مُرَكَّبَةٌ مِنْ كَافِ التَّشْبِيهِ، وَمَا الاسْتِفْهَامِيَّةِ؛ فَالأَصْلُ عِنْدَهُ فِيهَا: (كَمَ)؛ لأنَّ الحَرْفَ إذَا دَخَلَ عَلَى (مَا) الاسْتِفْهَامِيَّةِ حُذِفَ مِنْهَا (الألِفُ)، وَسُكِّنَ (المِيمُ)؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، كَمَا قَالُوا في (فِيمْ، وَلِمْ): فِيمَ، وَلِمَ"[١].

**ب – كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ دَلِيْلٌ عَلَى الأصْلِ:** إنَّ الأكْثَرَ اسْتِعْمَالاً يُعَدُّ ـ غَالِبَاً ـ أصْلاً، يَقُولُ ابْنُ عُصْفُورٍ: "أحَدُهُمَا أنْ يَكُونَ أحَدُ النَّظْمَيْنِ أكْثَرَ اسْتِعْمَالاً مِنَ الآخَرِ، فَيَكُونُ الأكْثَرُ اسْتِعْمَالاً هُوَ الأصْلَ، وَالآخَرُ مَقْلُوباً مِنْهُ، نَحْوَ: لَعَمْرِي وَرَعَمْلِي؛ فَإنَّ (لَعَمْرِي) أكْثَرُ اسْتِعْمَالاً، فَلِذَلِكَ ادَّعَيْنَا أنَّهُ الأصْلُ"[٢].

وَوَرَدَ كَذَلِكَ أنَّهُ "إذَا كَانَتِ الكَلِمَتَانِ بِمَعْنَىً وَاحِدٍ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا إلَّا بِقَلْبٍ في حُرُوفِهِمَا، وَكَذَا إنْ كَانَتْ إحْدَاهُمَا أقَلَّ اسْتِعْمَالاً مَعَ الفَرَضِ المَذْكُورِ مِنَ الأُخْرَى؛ فَالقُلَّ مَقْلُوبَةٌ مِنَ (الكُثْرَى)، كَـ: آرَامٍ، وَآدُرٍ، مَعْ: آرَآمٍ، وَأدْؤُرٍ، مَعْ أنَّ هَذَا يَنْتَقِضُ بِـ: جَذَبَ، وَجَبَذَ؛ فَإنَّ (جَذَبَ) أشْهَرُ، مَعْ أنَّهُمَا أصْلَانِ"[٣].

وَمِنْ ذَلِكَ عَدُّ (بَلْ) هِيَ الأصْلَ لَا (بَنْ)؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَبِالمِثْلِ اعْتُبِرَ أنَّ (اللَّامَ) هِيَ الأصْلُ في قَوْلِهِمْ: خَامِلٌ، وَخَامِنٌ، وَ (الثَّاءُ) هِيَ أصْلُ (الفَاءِ) في قَوْلِهِمْ:

ثُمَّ : فُمَّ، يَقُولُ ابْنُ جِنِّي : "قَوْلُهُمْ : مَا قَامَ زَيْدٌ بَلْ عَمْرٌو وَبَنْ عَمْرٌو ؛ فـ (النُّونُ) بَدَلٌ مِنَ (اللَّام)، أَلَا تَرَى إِلَى كَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ (بَلْ)، وَقِلَّةِ اسْتِعْمَالِ (بَنْ)، وَالحُكْمُ عَلَى الأَكْثَرِ، لَا عَلَى الأَقَلِّ، كَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : رَجُلٌ خَامِلٌ، وَخَامِنٌ ؛ فَـ (النُّونُ) فيه بَدَلٌ مِنَ (اللَّام)، أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَكْثَرُ...، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : قَامَ زَيْدٌ فُمَّ عَمْرٌو ؛ فـ (الفَاءُ) بَدَلٌ مِنَ (الثَّاءِ) في (ثُمَّ)، أَلَا تَرَى أَنَّهُ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً" (٤).

– وَمِنْهُ، أَيْضَاً : اعْتِدَادُهُمْ (وَاوَ القَسَمِ) أَصْلاً لِـ (التَّاءِ) ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، يَقُولُ الفَرَّاءُ : "فَتَوَهَّمُوا أَنَّ (الوَاوَ) مِنْهَا ؛ لِكَثْرَتِهَا في الكَلَامِ، وَأَبْدَلُوهَا (تَاءً)، كَمَا قَالُوا : التُّرَاثُ، وَهُوَ مِنْ : وَرِثَ" (٥).

ت – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ دَلِيْلُ فَصَاحَةِ اللَّفْظِ** : إِنَّ مَا شَاعَ اسْتِخْدَامُهُ، وَكَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ مِنْ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ وَتَرَاكِيبِهَا عَلَى أَلْسِنَةِ الفُصَحَاءِ، وَفِي كِتَابَاتِ كُتَّابِهَا يُعْتَدُّ فَصِيْحَاً، بَلْ أَكْثَرَ اللُّغَةِ فَصَاحَةً ؛ فَمَعْرِفَةُ الفَصِيحِ مُرْتَبِطَةٌ بِشُيُوعِ اسْتِعْمَالِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الفُصَحَاءِ، يَقُولُ السُّيُوطِيُّ : "وَيَكُونُ اللَّفْظُ عَلَى أَلْسِنَةِ الفُصَحَاءِ المَوْثُوقِ بِعَرَبِيَّتِهِمْ أَدْوَرَ، وَاسْتِعْمَالُهُمْ لَهُ أَكْثَرَ" (٦).

وَإِذَا اسْتُعْمِلَ لَفْظَانِ، سَبَقَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ في كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ وَالشُّيُوعِ كَانَ الأَفْصَحَ، يَقُولُ ابْنُ جِنِّي : "فَإِنْ كَانَتْ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ أَكْثَرَ في كَلَامِهِ مِنْ صَاحِبَتِهَا فَأَخْلَقُ الحَالَيْنِ بِهِ في ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ القَلِيلَةُ في الاسْتِعْمَالِ هِيَ المُضَادَّةَ، وَالكَثِيرَةُ هِيَ الأَوْلَى الأَصْلِيَّة" (٧).

ث – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تَنْقُلُ الكَلِمَةَ مِنْ قِسْمِ كَلِمٍ إِلَى آخَرَ** : إِنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ لِكَلِمَةٍ قَدْ تَنْقُلُهَا مِنْ قِسْمِ كَلِمٍ إِلَى آخَرَ، وَمِنْ ذَلِكَ، مَثَلاً :

كَلِمَةُ (عَلَى) حَرْفُ الجَرِّ، وَشُبِّهَتْ بِالاسْمِ، وَأُجْرِيَتْ مُجْرَاهُ ؛ نَظَرَاً لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، يَقُولُ المُرَادِيُّ عَنْ (عَلَى) :" وَقَالَ قَوْمٌ : الأَصْلُ أَنْ تَكُونَ حَرْفَاً، وَإِنَّمَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا، فَشُبِّهَتْ في بَعْضِ الأَحْوَالِ بِالاسْمِ، فَأُجْرِيَتْ مَجْرَاهُ" (٨).

ج – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تُؤَثِّرُ في الحَذْفِ** : وَلَعَلَّ مِن آثَارِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ عَلَى بِنْيَةِ الكَلِمَةِ العَرَبِيَّةِ : الحَذْفَ، وَمِنْ ذَلِكَ :

- **حَذْفُ الأَلِفِ**: تُحْذَفُ (الألِفُ) إمْلَائِيًّا؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ في عِدَّةِ مَوَاطِنَ، مِنْهَا:

- حَذْفُهَا في البَسْمَلَةِ؛ حَيْثُ يُقَالُ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، وَفي تَفْسِيرِ حَذْفِ (الألِفِ) مَذَاهِبُ، هِيَ: أنَّ (الألِفَ) حُذِفَتْ؛ لِكَثْرَةِ دَوَرَانِهَا تَخْفِيفاً وَاخْتِصَاراً. وَقِيلَ: "لَا حَذْفَ في (بِسْمِ)؛ لأنَّ (البَاءَ) دَاخِلَةٌ عَلَى تِلْكَ اللُّغَةِ التِي لَا تَعْوِيضَ فِيهَا مِنْ لَامِ (اسْمِ) المَحْذُوفَةِ؛ لأنَّهُ يُقَالُ: (سْمِ)، بِكَسْرِ السِّيْنِ، وَضَمِّهَا؛ فَحُذِفَتِ الكَسْرَةُ لِتَوَالِي كَسْرَتَيْنِ: كَسْرَةِ البَاءِ، وَكَسْرَةِ السِّينِ، أمَّا الضَّمَّةُ فَحُذِفَتْ؛ لِصُعُوبَةِ الانْتِقَالِ مِنَ الكَسْرِ إلَى الضَّمِّ"[٩].

- وَمِنْهَا: حَذْفُ أَلِفِ كَلِمَةِ (الرَّحْمَنِ) بِشَرْطِ كَوْنِهَا مُقْتَرِنَةً بِالأَلِفِ وَاللَّامِ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا وَدَوَرَانِهَا عَلَى الأَلْسِنَةِ، فَإذَا كَانَتْ دُوْنَ (أَلْ) كُتِبَتِ الألِفُ[١٠].

- وَمِنْهَا: حَذْفُ أَلِفِ (أَسْمَاءِ الإشَارَةِ) بِشَرْطِ اقْتِرَانِهَا بِـ(لَامِ البُعْدِ وَحَرْفِ الخِطَابِ)؛ نَظَراً لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ[١١].

- وَمِنْهَا: حَذْفُ أَلِفِ (الحَرِثِ) بِشَرْطِ أنْ يَكُونَ مُقْتَرِناً بِـ(أَلْ)؛ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ بِـ (حَرْثٍ) عَلَماً؛ نَظَراً لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ في الجَاهِلِيَّةِ، وَصَدْرِ الإسْلَامِ، وَهَذِهِ الأَلِفُ "أجَازُوا حَذْفَهَا في كُلِّ عَلَمٍ عَرَبِيٍّ، أوْ غَيْرِ عَرَبِيٍّ، زَائِدٍ عَلَى ثَلَاثَةِ أحْرُفٍ، نَحْوَ: مَالِكٍ، وَصَالِحٍ، وَخَالِدٍ... إذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ تُحْذَفْ مِنْ: حَامِدٍ، وَصَابِرٍ، وَطَالُوتَ؛ لِعَدَمِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ"[١٢].

- وَمِنْهَا: حَذْفُ (الألِفِ) في القَسَمِ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ: (أمَا وَاللَّهِ لأفْعَلَنَّ)، حَيْثُ يُقَالُ: (أمَ وَاللَّهِ)؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ[١٣].

- وَمِنْهَا: حَذْفُ (الألِفِ) في بَابِ (مَفَاعِلَ) مِنْ جَمْعِ التَّكْسِيرِ، وَيُشْتَرَطُ لِذَلِكَ كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ، وَأمْنُ اللَّبْسِ، وَعَدَمُ كَوْنِ (الألِفِ) فَاصِلَةً بَيْنَ حَرْفَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ، نَحْوَ: مَحَارِيبَ، في حِينِ أنَّهُ لَا يَجُوزُ في: أبَابِيلَ[١٤].

وَهَذَا تَفْصِيلُ مَا يُكَسَّرُ عَلَى وَزْنِ (فَوَاعِلَ):

ذَهَبَ النُّحَاةُ إِلَى أَنَّ (فَاعِلاً) يُجْمَعُ عَلَى (فَوَاعِلَ) عَلَى سَبِيلِ الاطِّرَادِ فِي الصُّوَرِ الآتِيَةِ :

– مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلَةٍ)، وَيَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الاسْمُ، وَالصِّفَةُ، يَقُولُ سِيبَوَيْهِ : "وَإِذَا لَحِقَتِ الهَاءُ (فَاعِلاً) لِلتَّأْنِيثِ كُسِّرَ عَلَى (فَوَاعِلَ)، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : ضَارِبَةٌ، وَضَوَارِبُ، وَقَوَاتِلُ، وَخَوَارِجُ "(١٥).

– مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلٍ) الذِي هُوَ صِفَةٌ خَاصَّةٌ بِالمُؤَنَّثِ، يَقُولُ سِيْبَوَيْهِ، أَيْضَاً :" وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ صِفَةً لِلْمُؤنَّثِ، وَلَمْ تَكُنْ فَيهِ (هَاءُ) التَّأْنِيثِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : حَوَاسِرُ، وَحَوَائِضُ "(١٦).

– مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلٍ)، وَهُوَ اسْمٌ، نَحْوَ : جَابِرٌ وَجَوَابِرُ.

– مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلٍ)، وَهُوَ صِفَةٌ لِمُذَكَّرٍ غَيْرِ عَاقِلٍ، نَحْوَ : صَاهِلٍ وَصَوَاهِلَ، يَقُولُ سِيْبَوَيْهِ : "وَإِنْ كَانَ فَاعِلٌ لِغَيْرِ الآدَمِيِّينَ كُسِّرَ عَلَى (فَوَاعِلَ)، وَإِنْ كَانَ لِمُذَكَّرٍ، أَيْضَاً ؛ لأَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِيهِ مَا جَازَ فِي الآدَمِيِّينَ مِنَ الوَاوِ وَالنُّونِ، فَضَارَعَ المُؤَنَّثَ، وَلَمْ يَقْوَ قُوَّةَ الآدَمِيِّينَ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : جِمَالٌ بَوَازِلُ..."(١٧).

– مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ (فَوْعَلٍ)، أَوْ (فَوْعَلَةٍ)، مِثْلَ : جَوْهَرٍ وَجَوَاهِرَ، وَصَوْمَعَةٍ وَصَوَامِعَ.

– مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلَاءِ)، يَقُولُ سِيبَوَيْهِ، أَيْضَاً : "وَأَمَّا مَا كَانَ آخِرَهُ (أَلِفُ التَّأْنِيثِ)، وَكَانَ (فَاعِلَاءَ) فَإِنَّهُ يُكَسَّرُ عَلَى (فَوَاعِلَ) شُبِّهَ بِهِ (فَاعِلَةٌ) ؛ لأَنَّهُ عَلَمُ تَأْنِيثٍ، كَمَا أَنَّ (الهَاءَ) فِي (فَاعِلَةٍ) عَلَمُ تَأْنِيثٍ، وَذَلِكَ، نَحْوَ : قَاصِعَاءَ وَقَوَاصِعَ "(١٨).

– مَا كَانَ عَلَى وَزْنِ (فَاعِلٍ)، نَحْوَ : خَاتِمٍ وَخَوَاتِمَ، يَقُولُ سِيْبَوَيْهِ : "وَمَا كَانَ مِنَ الأَسْمَاءِ عَلَى (فَاعِلٍ)، أَوْ (فَاعَلٍ) فَإِنَّهُ يُكَسَّرُ عَلَى بِنَاءِ (فَوَاعِلَ)، وَذَلِكَ قَوْلُكَ : تَابِلٌ وَتَوَابِلُ..."(١٩).

وَلَكِنْ وَرَدَ جَمْعُ مَا هُوَ عَاقِلٌ الذِي عَلَى وَزْنِ (فَاعِلٍ) عَلَى (فَوَاعِلَ) ؛ حَيْثُ قَالُوا : هَالِكٌ وَهَوَالِكُ، وَفَارِسٌ وَفَوَارِسُ، يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ :

فَـوَاعِـلٌ لِـفَـوْعَـلٍ وَفَـاعَـلْ وَفَـاعِـلَاءَ مَـعَ نَـحْـوِ كَـاهِـلِ
وَحَـائِـضٍ وَصَـاهِـلْ وَفَـاعِـلَـهْ وَشَذَّ فِي الفَارِسِ مَعْ مَا مَاثَلَهْ[٢٠]

وَيَقُولُ سِيْبَوَيْهِ: "وَقَدِ اضْطُرَّ، فَقَالَ فِي (الرِّجَالِ)، وَهُوَ الفَرَزْدَقُ:

[٣]

وَإِذَا الـرِّجَـالُ رَأَوْا يَـزِيـدَ رَأَيْـتَـهُـمْ خُضُعَ الرِّقَابِ نَوَاكِسَ الأَبْصَارِ[٢١]

لأَنَّكَ تَقُولُ: هِيَ الرِّجَالُ، كَمَا تَقُولُ: هِيَ الجِمَالُ، فَشُبِّهَ بِالجِمَالِ"[٢٢].

وَيُعَلِّلُ المُبَرِّدُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "وَقَدْ قَالُوا: فَارِسٌ وَفَوَارِسُ؛ لأَنَّ هَذَا لَا يَكُونُ مِنْ نُعُوتِ النِّسَاءِ، فَأَمِنُوا الالْتِبَاسَ، فَجَاءُوا بِهِ عَلَى الأَصْلِ، وَقَدْ قَالُوا: (هَالِكٌ فِي الهَوَالِكَ)؛ لأَنَّهُ مَثَلٌ مُسْتَعْمَلٌ، وَالأَمْثَالُ تَجْرِي عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ، فَلِذَلِكَ وَقَعَ هَذَا عَلَى أَصْلِهِ"[٢٣].

وَأَرْجَعَ ابْنُ يَعِيشَ ذَلِكَ إِلَى كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، يَقُولُ:" وَمَجَازُهُ أَمْرَانِ: أحدهما: أَنَّ فَارِسَاً قَدْ جَرَى مَجْرَى الأَسْمَاءِ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ مُفْرَدَاً غَيْرَ مَوْصُوفٍ.

وَالآخَرُ: أَنَّ فَارِسَاً لَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ إِلَّا لِلرِّجَالِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَصْلِ إِلَّا لَهُمْ[٢٤].

- وَمِنْهَا حَذْفُ (أَلِفِ) كَلِمَةِ (حَاشَا)؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ[٢٥].

- وَمِنْهَا: حَذْفُ "الأَلِفِ "فِي اسْمِ الفِعْلِ (هَلُمَّ) إِذَا كَانَ أَصْلُهَا (هَا لُمْ)، فَحُذِفَتِ (الأَلِفُ)؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَجُعِلَتِ اسْمَاً وَاحِدَاً. وَقِيلَ: كَانَ أَصْلُهَا: (هَا أُلُمْ)[٢٦].

- وَمِنْهَا: حَذْفُ أَلِفِ المَدِّ: قَدْ تُحْذَفُ (أَلِفُ) المَدِّ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَمِنْ ذَلِكَ (أَلِفُ) كَلِمَةِ (أُبَالِي)، يَقُولُ سِيْبَوَيْهِ: "وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِمْ: لَمْ أُبَلْ، فَقَالَ: هِيَ (مَا بَالَيْتُ)، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا أَسْكَنُوا (اللَّامَ) حَذَفُوا (الأَلِفَ)؛ لأَنَّهُ لَا يَلْتَقِي سَاكِنَانِ، وَإِنَّمَا فَعَلُوا هَذَا حَيْثُ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ؛ إِذْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ حَذْفُ (النُّونِ)، وَ (الحَرَكَاتِ)، وَذَلِكَ نَحْوَ: مُذْ، وَلَدُ، وَإِنَّمَا الأَصْلُ: لَدُنْ، وَمُنْذُ"[٢٧].

- **حَذْفُ الهَمْزَةِ**: تُحْذَفُ (الهَمْزَةُ)؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَقَدْ عَقَدَ ابْنُ جِنِّي بَابَاً

عُنْوَانُهُ (بَابٌ فِي حَذْفِ الهَمْزِ، وَإِبْدَالِهِ)، يَقُولُ فِيهِ: "قَدْ جَاءَ هَذَا المَوْضِعُ فِي النَّثْرِ وَالنَّظْمِ جَمِيعَاً، وَكِلَاهُمَا غَيْرُ مَقِيسٍ عَلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا قِسْتَ عَلَى مَا جَاءَ مِنْهُ فِي النَّثْرِ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ مَوْضِعَ اضْطِرَارٍ؟ قِيلَ: تِلْكَ مَوَاضِعُ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا، فَعُرِفَتْ أَحْوَالُهَا، فَجَازَ الحَذْفُ فِيهَا"[٢٨].

وَضَرَبَ لِذَلِكَ مِثَالاً، فَقَالَ: "فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّثْرِ قَوْلُهُمْ: وَيْلُمِّهِ، وَإِنَّمَا أَصْلُهُ: وَيْلٌ لأُمِّهِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا أَنْشَدَهُ الأَصْمَعِيُّ لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَنَمَةَ الضَّبِّي [مِنَ الوَافِرِ]:

[٤]

**لأُمِّ الأَرْضِ وَيْـــلٌ مَـــا أَجَـــنَّـــتْ غَدَاةَ أَضَرَّ بِالحَسَنِ السَّبِيلُ**[٢٩]

فَحَذَفَ لَامَ (وَيْلٌ)، وَتَنوينه لِمَا ذَكَرْنَا، وَحُذِفَتْ هَمْزَةُ (أُمِّ)، فَبَقِيَ: وَيْلُمِّهِ[٣٠].

– وَمِنْهُ حَذْفُ (الهَمْزَةِ) فِي مُضَارِعِ (أَفْعَلَ) تَخْفِيفَاً؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، نَحْوَ: أَعْرَبَ يُعْرِبُ، وَنَحْوِهَا[٣١].

– وَمِنْهُ حَذْفُ الهَمْزَةِ التِي هِيَ (فَاءُ) الكَلِمَةِ من (فِعْلِ الأَمْرِ) مَهْمُوزِ الفَاءِ، يَقُولُ رَضِيُّ الدِّينِ: "وَالْتَزَمُوا هَذَا الحَذْفَ فِي (خُذْ، وَكُلْ) دُونَ (مُرْ)؛ فَإِنَّ الحَذْفَ فِيهِ أَفْصَحُ مِنَ القَلْبِ، وَلَيْسَ بِلَازِمٍ، هَذَا إِذَا كَانَ مُبْتَدَأً بِهِ؛ وَذَلِكَ لِكَوْنِهِ أَقَلَّ اسْتِعْمَالاً مِنْ (خُذْ)، وَ (كُلْ)..."[٣٢].

– وَمِنْهُ حَذْفُ (هَمْزَةِ) كَلِمَةِ (أَيِسَ) فِي قَوْلِهِمْ: (اطْلُبْهُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ)[٣٣]؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَحَذْفُ أَلِفِ الحَرْفِ (لَا)؛ لالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ.

– وَمِنْهُ حَذْفُ (هَمْزَةِ القَطْعِ) مِنْ (أَيْمُنُ) فِي القَسَمِ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ؛ نَحْوَ: مُ اللَهِ[٣٤].

– **حَذْفُ التَّاءِ**: قَدْ تُحْذَفُ (التَّاءُ) مِنْ الكَلِمَةِ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَمِنْ ذَلِكَ: حَذْفُهَا فِي الأَفْعَالِ: يَتَسِعُ، وَيَتَقِي، وَيَتَخِذُ، وَأَسْمَاءِ الفَاعِلِيْنَ، قَالَ رَضِيُّ الدِّيْنِ: "قَالَ الزَّجَّاجُ: أَصْلُ تَخِذَ: اتَّخَذَ، حُذِفَ (التَّاءُ) مِنْهُ كَمَا فِي (تَقَى)، وَلَوْ كَانَ كَمَا قَالَ لَمَا قِيلَ:

(تَخَذَ)، بِفَتْحِ الخَاءِ، بَلْ : تَخِذَ يَتْخَذُ تَخْذاً، كَجَهِلَ يَجْهَلُ جَهْلاً ؛ بِمَعْنَى :أَخَذَ يَأْخُذُ أَخْذاً، وَلَيْسَ مِنْ تَرْكِيبِهِ "[٣٥].

وَلِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ تُحْذَفُ (التَّاءُ) مِن (اسْتَطَاعَ)، فَتَصِيرُ : (اسْطَاعَ)، يَقُولُ ابْنُ جِنِّي : "إِنَّ اللَّهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – يَقُولُ: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ﴾[٣٦]. أَصْلُهُ : (اسْتَطَاعُوا)، فَحُذِفَتِ (التَّاءُ) ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَلِقُرْبِ (التَّاءِ) مِنَ (الطَّاءِ)، وَهَذَا الأَصْلُ مُسْتَعْمَلٌ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ عُقَيْبَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱسْطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾[٣٧][٣٨].

– وَمِنْهُ : حَذْفُ إِحْدَى التَّاءَيْنِ مِنْ (تَفَعَّلَ، وَتَفَاعَلَ، وَتَفَعْلَلَ) : إِذَا اجْتَمَعَتْ (تَاءَانِ) فِي أَوَّلِ إِحْدَى هَذِهِ الصِّيَغِ الثَّلَاثَةِ (تَفَعَّلَ، وَتَفَاعَلَ، وَتَفَعْلَلَ) قَدْ تُحْذَفُ إِحْدَاهُمَا، وَهَذَا الحَذْفُ كَثِيرٌ جِدًّا[٣٩] ، يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ :

**وَمَا بِتَاءَيْنِ ابْتُدِي قَدْ يَقْتَصِرْ فِيهِ عَلَى تَا، كَـ: تَبَيَّنُ العِبَرْ**[٤٠]

وَقَدْ وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ اسْتِعْمَالُ الطَّرِيْقَيْنِ ؛ فَمَثَلاً الفِعْلُ (تَتَوَلَّى) وَرَدَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ مُسْتَعْمَلاً دُونَ حَذْفٍ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مَعْ إِسْنَادِهِ إِلَى وَاوِ الجَمَاعَةِ[٤١]، وَوَرَدَ مُسْتَعْمَلاً بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ خَمْسَ مَرَّاتٍ[٤٢].

وَقَدْ وَرَدَ الفِعْلُ (تَتَلَوَّنُ) بِحَذْفِ إِحْدَى التَّاءَيْنِ فِي قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زهير [مِنَ البَسِيطِ] :

[٥]

**فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثْوَابِهَا الغُولُ**[٤٣]

حَيْثُ اسْتَعْمَلَ الفِعْلَ (تَلَوَّنُ) مَحْذُوفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ.

– **حَذْفُ العَيْنِ** : قَدْ تُحْذَفُ (عَيْنُ) الاسْمِ تَخْفِيْفاً، وَمِنْ ذَلِكَ :

– حَذْفُ (هَمْزَةِ) كَلِمَةِ (مَلأَكٌ) ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَمِنْ ثَمَّ صَارَتْ (مَلَكٌ).

– وَمِنْهُ حَذْفُ (عَيْنِ) الفِعْلِ المُضَارِعِ تَخْفِيْفاً ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، نَحْوَ : حَذْفِ هَمْزَةِ (يَرَى) ؛ حَيْثُ كَانَ أَصْلُهُ : (يَرْأَى).

- **حَذْفُ الفَاءِ**: تُحْذَفُ (الفَاءُ) في (سَوْفَ) ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، كَمَا في قَوْلِ الشَّاعِرِ [مِنَ الوَافِرِ]:

[٦]

**فَإِنْ أَهْلِكْ فَسَوْ تَجِدُونَ فَقْدِي وَإِنْ أَسْلَمْ يَطِبْ لَكُمُ المَعَاشُ**(٤٤)

- **حَذْفُ اللَّامِ**: تُحْذَفُ (اللَّامُ) في بَعْضِ الأَسْمَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- حَذْفُهَا في: يَدٍ، وَدَمٍ، وَغَدٍ ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ(٤٥).

- وَمِنْهُ: حَذْفُ إِحْدَى لَامَي الذِي، وَالذِينَ: تُخَفَّفُ إِحْدَى لَامَي (الذِي، وَالذِينَ) ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَلَمْ يُتَخَفَّفْ مِنْهَا في المُثَنَّى ؛ لِقِلَّةِ اسْتِعْمَالِهِ، يَقُولُ مَكِّيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ: "حَذَفُوا إِحْدَاهُمَا ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ تَخْفِيْفَاً، وَجَرَى الجَمْعُ عَلَى الوَاحِدِ...، وَكُتِبَتِ التَّثْنِيَةُ بِلَامَيْنِ"(٤٦).

- **حَذْفُ النُّونِ**: وَهَذِهِ النُّونُ لَهَا صُورَتَانِ:

الأُوْلَى: مَا لَيْسَتْ أَصْلاً في الصِّيْغَةِ، وَهَذِهِ قَدْ تُحْذَفُ، وَمِنْهَا:

- (النُّونُ) الدَّاخِلَةُ عَلَى (إِنَّ، وَكَأَنَّ)، وَبَاقِي أَخَوَاتِهَا التِي تَدْخُلُ عَلَيْهَا ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "يَسْتَثْقِلُونَ في كَلَامِهِمُ التَّضْعِيفَ، فَلَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهَا مَعْ تَضْعِيفِ الحُرُوفِ حَذَفُوا التِي تَلِي اليَاءَ"(٤٧).

وَالثَّانِيَةُ: (النُّونُ) التِي هِيَ مِنْ أَصْلِ الصِّيْغَةِ، وَهَذِهِ، أَيْضَاً، يَدْخُلُهَا الحَذْفُ، يَقُولُ سِيْبَوَيْهِ: "الشَّيْءُ إِذَا كَثُرَ في كَلَامِهِمْ كَانَ لَهُ نَحْوٌ لَيْسَ لِغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ مِثْلُهُ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: لَمْ أَكُ، وَلَا تَقُولُ: لَمْ أَقُ، إِذَا أَرَدْتَ: أَقُلْ، وَتَقُولُ: لَمْ أَدْرِ، كَمَا تَقُولُ: هَذَا قَاضٍ، وَتَقُولُ: لَمْ أُبَلْ، وَلَا تَقُولُ: لَمْ أُرَمْ، تُرِيدُ: لَمْ أُرَامِ ؛ فَالعَرَبُ مِمَّا يُغَيِّرُونَ الأَكْثَرَ في كَلَامِهِمْ عَنْ حَالِ نَظَائِرِهِ"(٤٨).

وَيَقُولُ الجَوْهَرِيُّ: "وَإِنِّي وَإِنَّنِي ؛ بِمَعْنَىً، وَكَذَلِكَ: كَأَنِّي، وَكَأَنَّنِي، وَلَكِنِّي وَلَكِنَّنِي ؛ لأَنَّهُ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ لِهَذِهِ الحُرُوفِ، وَهُمْ يَسْتَثْقِلُونَ التَّضْعِيفَ، فَحَذَفُوا (النُّونَ) التِي تَلِي (اليَاءَ)، وَكَذَلِكَ (لَعَلِّي وَلَعَلَّنِي) ؛ لأَنَّ (اللَّامَ) قَرِيْبَةٌ مِنَ (النُّونِ)"(٤٩).

- وَمِنْهُ حَذْفُ (نُونِ) كَلِمَةِ "لَدُنْ" ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ[٥٠].

- **حَذْفُ التَّنْوِيْنِ**: يُحْذَفُ (التَّنْوِينُ) ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، نَحْوَ حَذْفِهِ فِي قَوْلِنَا: (سَلامٌ عَلَيْكُمْ) حَيْثُ يُقَالُ: (سَلَامُ عَلَيْكُمْ) ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَعَلَيْهِ خُرِّجَتْ قِرَاءَةُ الأعْمَشِ الشَّاذَّةُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[٥١]، بِنَصْبِ ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ عَلَى أنَّ التَّنْوِينَ حُذِفَ ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ[٥٢].

- وَمِنْهُ: حَذْفُ (تَنْوِينِ) العَلَمِ المَوْصُوفِ بـ "بِنْتٍ" ؛ فَلَيْسَ هُنَا الْتِقَاءُ سَاكِنَيْنِ، كَمَا فِي العَلَمِ المَوْصُوفِ بـ (ابْنٍ) لِيُقَالَ: إنَّ التَّنْوِينَ حُذِفَ لالْتِقَاءِ سَاكِنَيْنِ[٥٣].

- **حَذْفُ الهَاءِ مِنْ جَمَالَةٍ**: قَدْ تُحْذَفُ (الهَاءُ) مِنْ آخِرِ الكَلِمَةِ ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ:

حَذْفُهَا مِنْ (جَمَالَةٍ) ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، قَالَ الفَيُّومِي: "الجَمَالُ: رِقَّةُ الحُسْنِ، وَالأصْلُ: جَمَالَةٌ، بِالهَاءِ، مِثْلُ: صَبُحَ صَبَاحَةً، لَكِنَّهُم حَذَفُوا (الهَاءَ) ؛ تَخْفِيْفَاً لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ"[٥٤].

- **حَذْفُ الوَاوِ**: تُحْذَفُ (الوَاوُ) إذَا وَقَعَتْ فَاءً لِمُضَارِعِ المِثَالِ ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَذَلِكَ نَحْوَ:

حَذْفُ (الوَاوِ) فِي المُضَارِعِ (يَدَعْ)، وَنَحْوِهِ فِي قَوْلِ الفَرَزْدَقِ [مِنَ الطَّوِيلِ]: [٧]

**وَعَضُّ زَمَانٍ يَا بْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إلَّا مُسْحَتَاً أوْ مُجَلَّفُ**[٥٥]

وَقِيَاسُ هَذَا الفِعْلِ عِنْدَ ابْنِ جِنِّي: (يُوْدَعْ)، بِالبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ ؛ وَ (الوَاوُ) حُذِفَتْ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ[٥٦].

- **حَذْفُ آخِرِ الأعْلَامِ**: قَدْ يُحْذَفُ آخرُ العَلَمِ ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، يَقُولُ سِيبَوَيْهِ: "وَلَيْسَ الحَذْفُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الأسْمَاءِ أَلْزَمَ مِنْهُ لِـ: حَارِثٍ، وَمَالِكٍ، وَعَامِرٍ ؛ وَذَلِكَ لأنَّهُمْ اسْتَعْمَلُوهَا كَثِيْرَاً فِي الشِّعْرِ، وَأكْثَرُوا التَّسْمِيَةَ بِهَا لِلرِّجَالِ"[٥٧].

وَيَقُولُ سِيْبَوَيْهِ، أيْضَاً: "وَاعْلَمْ أنَّهُ لَيْسَ مِن اسْمٍ لَا تَكُونُ فِي آخِرِهِ (هَاءٌ)

يُحْذَفُ مِنْهُ شَيْءٌ إِذَا لَمْ يَكُنِ اسْمَاً غَالِبَاً، نَحْوَ : زَيْدٍ، وَعَمْرٍو، مِنْ قِبَلِ أَنَّ المَعَارِفَ الغَالِبَةَ أَكْثَرُ فِي الكَلَامِ، وَهُمْ لَهَا أَكْثَرُ اسْتِعْمَالاً، وَهُمْ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهَا قَدْ حَذَفُوا مِنْهَا فِي غَيْرِ النِّدَاءِ، نَحْوَ قَوْلِكَ : هَذَا زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَلَمْ يَقُولُوا : زَيْدُ بْنُ أَخِيكَ "[٥٨]، يَقْصِدُ : حَذْفَ أَلِفِ (ابْنِ).

– وَمِنْهُ : حَذْفُ آخِرِ "الذِي "، وَ "التِي " ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ[٥٩].

– وَمِنْهُ : حَذْفُ آخِرِ المُنَادَى المُرَخَّمِ[٦٠].

– **حَذْفُ حَرْفِ الجَرِّ فِي القَسَمِ :** يُحْذَفُ حَرْفُ الجَرِّ المُقْسَمُ بِهِ، يَقُولُونَ : اللَّهِ لأَفْعَلَنَّ، وَأَصْلُهُ : وَاللَّهِ لأَفْعَلَنَّ، فَحُذِفَتِ (الوَاوُ) تَخْفِيْفَاً ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ.

– **حَذْفُ اليَاءِ، وَالنُّونِ فِي القَسَمِ :** قَدْ تُحْذَفُ (اليَاءُ، وَالنُّونُ) فِي القَسَمِ تَخْفِيْفَاً ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ ؛ حَيْثُ يَقُولُونَ : (مُ اللَّهِ) فِي : أَيْمُنُ اللَّهِ[٦١] ؛ أَيْ : حُذِفَ مِنْهَا : الهَمْزَةُ، وَاليَاءُ، وَالنُّونُ.

– **حَذْفُ حُرُوفِ المُضَارَعَةِ :** قَدْ تُحْذَفُ أَحْرُفُ المُضَارَعَةِ فِي أَمْرِ المُخَاطَبِ تَخْفِيْفَاً ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، نَحْوَ : ادْرُسْ ؛ لأَنَّ الأَصْلَ فِي (الدَّالِ) : الإِسْكَانُ حَمْلاً عَلَى المُضَارِعِ : يَدْرُسُ، وَجِيءَ بِأَلِفِ الوَصْلِ تَخَلُّصَاً مِنَ البَدْءِ بِالسَّاكِنِ[٦٢].

ح – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَتَأْثِيرُهَا فِي الإِبْدَالِ وَالإِعْلَالِ :** وَلَعَلَّ مِنْ آثَارِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ عَلَى بِنْيَةِ الكَلِمَةِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ : الإِبْدَالَ، وَالإِعْلَالَ، وَمِنْ ذَلِكَ :

– **إِبْدَالُ الأَلِفِ هَمْزَةً :** تُبْدَلُ (الأَلِفُ) هَمْزَةً ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَيُعَلِّلُ ابْنُ جِنِّي اخْتِصَاصَهَا بِقَوْلِهِ : "إِنَّمَا هُوَ لِكَثْرَةِ وُرُودِهَا سَاكِنَةً بَعْدَهَا الحَرْف المُدْغَم، فَتَحَامَلُوا، وَحَمَلُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى قَلْبِهَا (هَمْزَةً) تَطَرُّقَاً إِلَى الحَرَكَةِ، وَتَطَاوُلاً إِلَيْهَا ؛ إِذْ لَمْ يَجِدُوا إِلَى تَحْرِيكِهَا هِيَ سَبِيْلاً "[٦٣]، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : "شَأْبَةٌ، وَدَأْبَةٌ، وَقَوْلُ كُثَيِّرٍ عَزَّةَ [مِنَ الطَّوِيْلِ] :

[٨]

**وَأَنْتَ ابْنَ لَيْلَى خَيْرُ قَوْمِكَ مَشْهَدَا إِذَا مَا احْمَأَرَّتْ بِالعَبِيطِ العَوَامِلُ**[٦٤]

وَقَالَ عَنْهَا العُكْبَرِيُّ: "وَهِيَ لُغَةٌ فَاشِيَةٌ فِي العَرَبِ، وَقِرَاءَةُ أَيُّوبٍ السِّخْتِيَانِيِّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ولَا الضَّالّين﴾[٦٥]، بِهَمْزَةٍ مَفْتُوحَةٍ، هِيَ لُغَةٌ فَاشِيَةٌ فِي العَرَبِ فِي كُلِّ (أَلِفٍ) وَقَعَ بَعْدَهَا حَرْفٌ مُشَدَّدٌ، نَحْوَ: ضَالٌّ، وَدَابَّةٌ، وجَامَّةٌ"[٦٦].

- **إِبْدَالُ الوَاوِ يَاءً**: قَدْ تُبدَلُ (الوَاوُ) يَاءً؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، يَقُولُ ابْنُ جِنِّي: "وَمِنَ التَّدْرِيجِ فِي اللُّغَةِ قَوْلُهُمْ: دِيمَةٌ وَدِيَمٌ؛ وَاسْتِمْرَارُ القَلْبِ فِي العَيْنِ لِلْكَسْرَةِ قَبْلَهَا، ثُمَّ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ لَمَّا كَثُرَ وَشَاعَ إِلَى أَنْ قَالُوا: دَيَّمَتِ السَّمَاءُ، وَدَوَّمَتْ؛ فَأَمَّا (دَوَّمَتْ) فَعَلَى القِيَاسِ، وَأَمَّا (دَيَّمَتْ) فَلاسْتِمْرَارِ القَلبِ فِي (دِيْمَةٍ وَدِيَمٍ)، أَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ [مِنَ الرَّجَزِ]:

[٩]

**هُوَ الجَوَادُ ابْنُ الجَوَادِ ابْنُ سَبَلْ إِنْ دَوَّمُوا جَادَ وَإِنْ جَادُوا وَبَلْ**[٦٧])

وَرَوَاهُ، أَيْضاً: دَيَّمُوا، بِاليَاءِ، نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: دَامَتِ السَّمَاءُ تَدِيمُ؛ فَظَاهِرُ هَذَا أَنَّهُ أُجْرِيَ مُجْرَى: بَاعَ يَبِيعُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الوَاوِ، فَإِنْ قُلْتَ: فَلَعَلَّهُ (فَعِلَ يَفْعِلُ) مِنَ الوَاوِ، كَمَا ذَهَبَ الخَلِيلُ فِي (طَاحَ يَطِيحُ)، وَ (تَاهَ يَتِيهُ)، قِيلَ: حَمْلُهُ عَلَى الإِبْدَالِ أَقْوَى، أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ حُكِيَ فِي مَصْدَرِهِ: دَيْمَاً، فَهَذَا مُجْتَذَبٌ إِلَى (اليَاءِ)، مُدَرَّجٌ إِلَيْهَا، مَأْخُوذٌ بِهِ نَحْوَهَا...، وَجُمَاعُ هَذَا البَابِ غَلَبَةُ (اليَاءِ) عَلَى (الوَاوِ)؛ لِخِفَّتِهَا"[٦٨].

وَيَقُولُ سِيْبَوَيْهِ: "وَذَلِكَ لأَنَّ (اليَاءَ، وَالوَاوَ) بِمَنْزِلَةِ التِي تَدَانَتْ مَخَارِجُهَا؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُمَا، وَمَمَرُّهُمَا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، فَلَمَّا كَانَتِ (الوَاوُ) لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ (اليَاءِ) حَاجِزٌ بَعْدَ اليَاءِ، وَلَا قَبْلَهَا، كَانَ العَمَلُ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ، وَرَفْعُ اللِّسَانِ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ أَخَفَّ عَلَيْهِمْ، وَكَانَتِ (اليَاءُ) الغَالِبَةُ فِي القَلْبِ لَا (الوَاوُ)؛ لأَنَّهَا أَخَفُّ عَلَيْهِمْ لِشَبَهِهَا بِالأَلِفِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ فِي (فَيْعِلٌ): سَيِّدٌ، وَصَيِّبٌ، وَإِنَّمَا أَصْلُهُمَا: سَيْوِدٌ، وَصَيْوِبٌ"[٦٩].

**خ - كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَتَأْثِيرُهَا فِي إِسْكَانِ الحُرُوفِ**: لَعَلَّ مِنْ آثَارِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ: إِسْكَانَ بَعْضِ الحُرُوفِ فِي الكَلِمَةِ العَرَبِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

– **إسْكَانُ لَامِ الأمْرِ**: تُسَكَّنُ (لَامُ الأمْرِ) إذَا سُبِقَتْ بِوَاوٍ، أوْ فَاءٍ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، قَالَ سِيبَوَيْهِ: "لأنَّهَا كَثُرَتْ فِي كَلَامِهِمْ، وَصَارَتْ بِمَنْزِلَةِ (الهَاءِ) فِي أنَّهَا لَا يُلْفَظُ بِهَا إلَّا مَعْ مَا بَعْدَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: (فَلْيَنْظُرْ)[٧٠]، وَهِيَ تُحَرَّكُ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ بِالكَسْرِ، وَهَذَا مَا جَعَلَ النَّحَّاسَ يَحْكُمُ بِأَنَّ قِرَاءَةَ الكُوفِيِّينَ بَعِيدَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[٧١]، وَيَقُولُ: "وَهَذَا بَعِيدٌ فِي العَرَبِيَّةِ؛ لأنَّ (ثُمَّ) لَيْسَتْ مِثْلَ الوَاوِ، وَالفَاءِ؛لأنَّهَا يُوْقَفُ عَلَيْهَا، وَتَنْفَرِدُ"[٧٢].

– **إسْكَانُ الهَاءِ مِنْ ضَمِيرَيِ الغَائِبِ مُذَكَّرَاً، أوْ مُؤَنَّثَاً**: لَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُ (هُوَ، وَهِيَ) ضَمِيرَيِ الغَائِبِ سُكِّنَتِ (الهَاءُ)، نَحْوَ: وَهْوَ ذَاهِبٌ، وَلَهْوَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَفَهْوَ قَائِمٌ، وَكَذَلِكَ (هِيَ) لَمَّا كَثُرَتَا فِي الكَلَامِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الحُرُوفُ لَا يُلْفَظُ بِهَا إلَّا مَعْ مَا بَعْدَهَا صَارَتْ بِمَنْزِلَةِ مَا هُوَ مِنْ نَفْسِ الحُرُوفِ... فَعَلُوا ذَلِكَ حَيْثُ كَثُرَتْ فِي كَلَامِهِمْ، وَصَارَتْ تُسْتَعْمَلُ كَثِيْرَاً"[٧٣].

**د – كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَتَأْثِيرُهَا فِي إمَالَةِ الحُرُوفِ**: تُمِيْلُ العَرَبُ بَعْضَ الحُرُوفِ فِي الكَلِمَةِ العَرَبِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

– **إمَالَةُ الألِفِ**: وَالإمَالَةُ كَمَا يُعَرِّفُهَا عَلِي الجُرْجَانِيُّ هِيَ: "أنْ يَنْحُوَ النَّاطِقُ بِالفَتْحَةِ نَحْوَ الكَسْرَةِ"[٧٤] دُونَ نَظَرٍ لِكَوْنِ الفَتْحَةِ قَصِيْرَةً أوْ طَوِيْلَةً، وَأحْرَصُ العَرَبِ عَلَيْهَا "بَنُو تَمِيمٍ، وَأهْلُ الحِجَازِ لَا يُمِيْلُونَ"[٧٥].

وَ (الألِفُ) تُمَالُ بِشُرُوطٍ[٧٦]، هِيَ:

– أنْ يَكُونَ أوَّلُ حَرْفٍ مِنَ الكَلِمَةِ مَكْسُورَاً، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ (الألِفِ) حَرْفٌ مُتَحَرِّكٌ، أوْ حَرْفَانِ أوَّلُهُمَا سَاكِنٌ، نَحْوَ: عِمَادٍ، وَسِرْبَالٍ.

– أنْ يَكُونَ بَعْدَهَا حَرْفٌ مَكْسُورٌ، نَحْوَ: عَاقِرٍ.

– أنْ تَكُونَ مُنْقَلِبَةً عن يَاءٍ، أوْ عَنْ مَكْسُورٍ، مِثْلَ: نَابٍ، وَخَافَ، أوْ أنْ تَكُونَ ألِفَاً تَحَوَّلَتْ إلَى يَاءٍ مَفْتُوحةٍ، مِثْلَ: دَعَا، وَصَلَّى.

وَنُصُوصُ اللُّغَةِ تُثْبِتُ أنَّ (الألِفَ) أُمِيلَتْ رُغْمَ عَدَمِ تَوَافُرِ هَذِهِ الشُّرُوطِ فِيهَا؛ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَقَدْ عَقَدَ سِيبَوَيْهِ بَابَاً بِعُنْوَانِ: (هَذَا بَابُ مَا أُمِيلَ عَلَى غَيْرِ

قِيَاسٍ، وَإِنَّمَا هُوَ شَاذٌّ)، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُمْ يُمِيلُونَ أَلِفَ (الحَجَّاجِ)، قَالَ: "إِذَا كَانَ اسْمَاً لِرَجُلٍ؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ، فَحَمَلُوهُ عَلَى الأَكْثَرِ؛ لأَنَّ الإِمَالَةَ أَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ"(٧٧).

ذ - **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَتَأْثِيرُهَا فِي دَمْجِ الكَلِمَاتِ**: إِنَّ مِنْ آثَارِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ دَمْجَ بَعْضِ الكَلِمَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- **دَمْجُ كَلِمَتَيْنِ**: تَدْمِجُ العَرَبُ كَلِمَتَيْنِ مَعَاً؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- وَصْلُ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةِ بِـ (لَا)؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ(٧٨).

- وَمِنْهُ كَذَلِكَ وَصْلُ (لأَنْ) النَّاصِبَةِ بِـ (لَا) فِي (لِئَلَّا)؛ حَيْثُ دُمِجَتِ الكَلِمَتَانِ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، يَقُولُ الرَّضِيُّ: "وَكَذَلِكَ (لِئَلَّا)، وَكَانَ حَقُّ المُشَدَّدِ أَنْ يُكْتَبَ حَرْفَيْنِ، وَهَذَا، وَإِنْ كَانَ عَلَى خِلَافِ القِيَاسِ إِلَّا أَنَّ وَجْهَ كِتَابَتِهَا حَرْفَاً وَاحِدَاً مَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ الوَصْلِ مِنْ شِدَّةِ الاتِّصَالِ، وَكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ"(٧٩).

- وَمِنْ ذَلِكَ: وَصْلُ (مَا) الاسْمِيَّةِ بِحَرْفِ الجَرِّ، وَالأَصْلُ فِيهِمَا: الانْفِصَالُ، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَلِمُشَابَهَةِ الاسْمِيَّةِ الحَرْفِيَّةَ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ(٨٠).

هَذِهِ هِيَ المَسَائِلُ التِي تَمَكَّنَ البَحْثُ مِنْ إِحْصَائِهَا مِمَّا تَدْخُلُهُ كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ، وَيَظْهَرُ لَهَا أَثَرٌ عَلَى مُسْتَوَى البِنْيَةِ، وَسَيَعْرِضُ البَحْثُ لِلْمَسَائِلِ التِي تَدْخُلُهَا كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ، وَيَظْهَرُ أَثَرُهَا عَلَى المُسْتَوَى النَّحْوِيِّ.

## ثَانِيَاً - أَثَرُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ عَلَى المُسْتَوَى النَّحْوِيِّ:

لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ أَثَرٌ وَاضِحٌ عَلَى النَّحْوِ، كَمَا أَنَّ لَهَا أَثَرَاً غَيْرَ مَنْكُورٍ عَلَى بِنْيَةِ الكَلِمَةِ العَرَبِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

أ - **عَدَمُ التَّعْوِيضِ عَنِ المَحْذُوفِ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ**: وَمِنْ أَثَرِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ فِي النَّحْوِ أَنَّهُ: لَا يُعَوَّضُ عَنِ المَحْذُوفِ، وَيَبْقَى عَمَلُه، وَمِنْ ذَلِكَ:

أَنَّ حَرْفَ القَسَمِ إِذَا مَا حُذِفَ بَقِيَ عَمَلُهُ دُونَ تَعْوِيضٍ عَنْهُ، مَعْ لَفْظِ الجَلَالَةِ وَحْدَهُ (اللَّهِ)؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، فِي الوَقْتِ الذِي يُعَوَّضُ عَنْهُ مَعْ غَيْرِهِ، يَقُولُ ابْنُ

عُصْفُورٍ: "فَإِنْ لَمْ تُعَوِّضْ لَمْ يَجُزِ الخَفْضُ إِلَّا فِي اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُمْ اسْتَجَازُوا ذَلِكَ فِيهِ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ فِي القَسَمِ، فَنَقُولُ: اللَّهِ لأَقُومَنَّ"(٨١).

ب - **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تُقَوِّي العَامِلَ النَّحْوِيَّ**: إِنَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ أَثَراً فِي تَقْوِيَةِ العَامِلِ النَّحْوِيِّ، وَجَعْلِهِ أَصْلاً لِغَيْرِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

مَا قَالَهُ ابْنُ يَعِيشَ مِنْ أَنَّهُمْ: "جَعَلُوا (الوَاوَ) أَصْلاً؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَغَلَبَتِهَا عَلَى (البَاءِ)"(٨٢).

ت - **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تَسْمَحُ بِعَمَلِ مَا قَبْلَ كَثِيرِ الاسْتِعْمَالِ فِيمَا بَعْدَهُ**: وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ العَامِلَ قَبْلَ (لَا) النَّافِيَةِ يَعْمَلُ فِيمَا بَعْدَهَا، وَيُعَلِّلُ الرَّضِيُّ لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "وَأَمَّا (لَا)؛ فَلِكَثْرَتِهَا فِي الكَلَامِ"(٨٣).

ث - **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تُشْرِكُ كَثِيرَ الاسْتِعْمَالِ بِغَيْرِهِ فِي حُكْمٍ لَا يَجُوزُ لَهُ**: إِنَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ أَثَراً وَاضِحاً فِي العَمَلِ النَّحْوِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُلْحِقُ كَثِيرَ الاسْتِعْمَالِ بِغَيْرِهِ فِي حُكْمٍ لَا يَجُوزُ لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ:

جَوَازُ تَرْخِيمِ (صَاحِبٍ)، وَهِيَ لَمْ تَسْتَوْفِ شُرُوطَ التَّرْخِيمِ؛ لأَنَّهَا كَثِيرَةُ الاسْتِعْمَالِ، وَقَدْ جَعَلَتْهُ كَالعَلَمِ، قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: "وَلَا يُرَخَّمُ فِي غَيْرِهَا مُنَادَىً عَارٍ مِنَ الشَّرْطِ إِلَّا مَا شَذَّ، مِثْلَ: يَا صَاحِ، وَأَصْلُهُ: يَا صَاحِبُ، فَهُوَ نَكِرَةٌ مُقْبِلٌ عَلَيْهَا، خَالِيَةٌ مِنْ (هَاءِ التَّأْنِيثِ)، وَلَا يُرَخَّمُ، لَكِنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ جَعَلَتْهُ كَالعَلَمِ"(٨٤).

ج - **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تَخُصُّ بَعْضَ الأَلْفَاظِ بِأَحْكَامٍ دُونَ سِوَاهَا**: إِنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ تُعْطِي بَعْضَ الأَلْفَاظِ أَحْكَاماً تَخُصُّهَا بِهَا، وَتُفْرَدُ بِهَا دُونَ غَيْرِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ:

جَوَازُ دُخُولِ (اللَّام) دُونَ أَنْ تَكُونَ فَاصِلَةً بَيْنَ المُضَافِ وَالمُضَافِ إِلَيْهِ، فِي النَّفْيِ، وَالنِّدَاءِ، فِي نَحْوِ: يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ، وَلَا أَبَا لَكَ، يَقُولُ الزَّجَّاجُ: "وَلَيْسَ فِي العَرَبِ مَوْضِعٌ تَدْخُلُ فِيهِ (اللَّامُ) بَيْنَ المُضَافِ وَالمُضَافِ إِلَيْهِ غَيْرَ فَاصِلَةٍ بَيْنَهُمَا إِلَّا فِي النَّفْيِ، وَالنِّدَاءِ؛ لِلْعِلَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي البَابِ الأَوَّلِ، مِنْ كَثْرَةِ النَّفْيِ، وَالنِّدَاءِ فِي كَلَامِهِمْ، وَهُمْ مِمَّا يُغَيِّرُونَ الأَكْثَرَ فِي كَلَامِهِمْ"(٨٥).

ح - **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تَعْمَلُ عَلَى إِلْزَامِ اللَّفْظِ حَالَةَ البِنَاءِ**: إِنَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ أَثَراً وَاضِحاً فِي البِنَاءِ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَاعَ اللَّفْظُ اسْتِخْدَاماً لَزِمَ آخِرَهُ حَالَةٌ وَاحِدَةٌ، وَمِنْ

ذَلِكَ : الظَّرْفُ (أَمْسِ)، قَالَ سِيْبَوَيْهِ : "لَمَّا كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ، وَكَانَ مِنَ الظَّرْفِ تَرَكُوهُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ" (٨٦).

خ – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تَعْمَلُ عَلَى إِجْرَاءِ اللَّازِمِ مَجْرَى الْمُتَعَدِّي :** قَدْ يُجْرَى اللَّازِمُ مَجْرَى الْمُتَعَدِّي فِي العَرَبِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ :

تَعَدِّي الفِعْلِ (دَخَلَ) إِلَى المَفْعُولِ دُونَ حَرْفِ جَرٍّ ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ : "وَإِنَّمَا قَالُوا : دَخَلْتُ البَيْتَ، عَلَى تَقْدِيرِ حَرْفِ الجَرِّ ؛ ثُمَّ حُذِفَ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ. وَقَالَ أَبُو العَبَّاسُ : هُوَ مِنَ الأَفْعَالِ التِي تَتَعَدَّى تَارَةً بِأَنْفُسِهَا، وَتَارَةً بِحَرْفِ الجَرِّ، نَحْوَ : نَصَحْتُ زَيْداً، وَنَصَحْتُ لِزَيْدٍ، وَشَكَرْتُهُ، وَشَكَرْتُ لَهُ، فَكَذَلِكَ قُلْتَ : دَخَلْتُ الدَّارَ، وَدَخَلْتُ فِيهَا، وَهُوَ الصَّوَابُ ؛ لأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى تَقْدِيرِ حَرْفِ الجَرِّ لَاخْتَصَّ مَكَاناً وَاحِداً كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ، كَمَا كَانَتْ (ذَهَبْتُ) مَقْصُورَةً عَلَى (الشَّأْمِ)، فَلَمَّا كَانَ (دَخَلْتُ) شَائِعاً فِي سَائِرِ الأَمْكِنَةِ دَلَّ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِ أَبِي العَبَّاسِ" (٨٧).

وَعَلَيْهِ خُرِّجَ (بَكَيْتُهُ) عَلَى حَذْفِ حَرْفِ الجَرِّ، يَقُولُ الرَّضِيُّ : "أَيْ : (بَكَيْتُهُ)، بِحَذْفِ حَرْفِ الجَرِّ ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ" (٨٨).

د – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تُؤَدِّي إِلَى الحَذْفِ :** إِنَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ دَوْراً أَسَاسِيّاً فِي حَذْفِ بَعْضِ الكَلِمَاتِ فِي الجُمْلَةِ العَرَبِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ :

**حَذْفُ الفِعْلِ :** قَدْ يُحْذَفُ الفِعْلُ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَقَدْ عَقَدَ سِيْبَوَيْهِ بَاباً بِعُنْوَانِ : "هَذَا بَابُ مَا يَنْتَصِبُ عَلَى إِضْمَارِ الفِعْلِ المَتْرُوكِ إِظْهَارُهُ فِي غَيْرِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ "، وَضَرَبَ لِذَلِكَ أَمْثِلَةً كَثِيرَةً، مِنْهَا :

– حَذْفُهُ فِي بَابِ التَّحْذِيرِ وَالإِغْرَاءِ ؛ حَيْثُ يُحْذَفُ الفِعْلُ، وَيُنْصَبُ المَفْعُولُ، يَقُولُ : "وَذَلِكَ قَوْلُكَ : إِيَّاكَ وَالأَسَدَ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِيَّاكَ فَاتَّقِيَنَّ الأَسَدَ" (٨٩).

– وَمِنْ ذَلِكَ تَخْرِيجُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ (٩٠) ؛ حَيْثُ قِيلَ : وَانْتَصَبَ (خَيْراً لَكُمْ) ؛ لأَنَّ المُتَكَلِّمَ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ المُخَاطَبَ مِنْ أَمْرٍ، وَيُدْخِلَهُ فِي آخَرَ، يَقُولُ سِيْبَوَيْهِ : "وَحَذَفُوا الفِعْلَ ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُ فِي الكَلَامِ، وَلِعِلْمِ المُخَاطَبِ أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى أَمْرٍ حِينَ قَالَ لَهُ : انْتَهِ، فَصَارَ بَدَلاً مِنْ قَوْلِهِ : ائْتِ خَيْراً لَكَ" (٩١).

– وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : أَخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ فَصَاعِداً ؛ حَذَفُوا الفِعْلَ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمْ إِيَّاهُ ؛ لأَنَّهُمْ أَمِنُوا أَنْ يَكُونَ عَلَى (البَاءِ) لَوْ قُلْتَ : أَخَذْتُهُ بِصَاعِدٍ، كَانَ قَبِيْحَاً ؛ لأَنَّهُ صِفَةٌ، وَلَا تَكُونُ فِي مَوْضِعِ الاسْمِ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ فَزَادَ الثَّمَنُ صَاعِداً، أَوْ فَذَهَبَ صَاعِداً "(٩٢).

وَقَدْ يُعَوَّضُ عَنِ الفِعْلِ المَحْذُوفِ، يَقُولُ الزمخشري : "إِذَا قُلْتَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : يَا أُرِيدُ، أَوْ أَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ ؛ وَلَكِنَّهُ حُذِفَ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَصَارَ (يَا) بَدَلاً مِنْهُ "(٩٣).

– **حَذْفُ الفَاعِلِ** : وَقَدْ وَرَدَ حَذْفُ الفَاعِلِ عِنْدَ القُرْطُبِيِّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾(٩٤)، وَ" قِيلَ : المَعْنَى : لَا قَطَعَ قَاطِعٌ، فَحُذِفَ الفَاعِلُ حِينَ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ "(٩٥).

هَذَا، وَإِنْ كَانَ البَعْضُ اعْتَرَضَ عَلَى خُلُوِّ الفِعْلِ مِنَ الفَاعِلِ، يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ : "وَزَعَمَ الفَرَّاءُ أَنَّ (حَاشَا) فِعْلٌ، وَلَا فَاعِلَ لَهُ، وَأَنَّ الأَصْلَ فِي قَوْلِكَ (حَاشَا زَيْدٍ) : حَاشَا لِزَيْدٍ ؛ فَحُذِفَتِ (اللَّامُ) ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَخَفَضُوا بِهَا، وَهَذَا فَاسِدٌ ؛ لأَنَّ الفِعْلَ لَا يَخْلُو مِنْ فَاعِلٍ "(٩٦).

– **حَذْفُ الخَبَرِ** : يُحْذَفُ الخَبَرُ وُجُوباً إِذَا كَانَ المُبْتَدَأ نَصّاً فِي القَسَمِ، وَلَا يَجُوزُ ظُهورُ الخَبَرِ، وَعِلَّةُ ذَلِكَ كَمَا قَالَ سِيْبَوَيْهِ : "إِنَّهُ أَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ، فَحَذَفُوهُ كَمَا حَذَفُوا غَيْرَهُ، وَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أَصِفَهُ لَكَ "(٩٧).

– **حَذْفُ خَبَرِ إِنَّ وَأَخَوَاتِهَا** : يَجُوزُ حَذْفُ خَبَرِ (إِنَّ) وَأَخَوَاتِهَا إِذَا كَانَ ظَرْفاً، أَوْ جَارّاً وَمَجْرُورَاً، بَلْ نَصَّ ابْنُ يَعِيشَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ عَنْهُمَا، حَيْثُ قَالَ : "وَلَمْ يَأْتِ ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا كَانَ الخَبَرُ ظَرْفاً، أَوْ جَارّاً وَمَجْرُورَاً "(٩٨).

وَخَالَفَهُ فِي هَذَا الرَّضِيُّ، فَقَالَ : "لَا مُلْجِئَ إِلَى جَعْلِ جَمِيعِ الأَخْبَارِ المَحْذُوفَةِ ظُرُوفاً، فَلِمَ نَرْتَكِبُهُ ؟ بَلْ نُقَدِّرُ مَا يَسْتَقِيمُ بِهِ مَعْنَى الكَلَامِ، ظَرْفاً كَانَ أَوْ لَا "(٩٩).

وَقَوْلُ الرَّضِيِّ هُوَ الصَّحِيحُ، فَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– : (أَنَّ المُهَاجِرِينَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الأَنْصَارَ قَدْ فَضَلُونَا، إِنَّهُمْ آوَوْنَا، وَفَعَلُوا بِنَا،

وَفَعَلُوا، فَقَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ لَهُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى، قَالَ : فَإِنَّ ذَلِكَ " ؛ أَيْ : فَإِنَّ ذَلِكَ مُكَافَأَةٌ لَهُمْ ؛ أَيْ : مَعْرِفَتُكُمْ بِصَنِيْعِهِمْ، وَإِحْسَانِهِمْ مُكَافَأَةٌ لَهُمْ)[١٠٠].

وَسَبَبُ حَذْفِ خَبَرِ (إِنَّ) وَأَخَوَاتِهَا : هُوَ كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ، يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ : "اعْلَمْ أَنَّ أَخْبَارَ هَذِهِ الحُرُوفِ إِذَا كَانَتْ ظَرْفَاً، أَوْ جَارًّا وَمَجْرُوراً فَإِنَّهُ قَدْ يَجُوزُ حَذْفُهَا، وَالسُّكُوتُ عَلَى أَسْمَائِهَا دُوْنَهَا ؛ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَالاتِّسَاعِ فِيْهَا"[١٠١].

- **حَذْفُ اسْمِ لَا** : قَدْ يُحْذَفُ اسْمُ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ فِي مِثْلِ : لَا عَلَيْكَ، وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ[١٠٢].

- **حَذْفُ الضَّمِيرِ** : كَثِيْرَاً مَا يُحْذَفُ الضَّمِيرُ ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَمِنْهُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾[١٠٣] ؛ أَيْ : بَعَثَهُ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ فِي الفَصِيحِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ حَزَامٍ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

[١٠]

**وَأَصْرِفُ عَنْ وَجْهِي الذِي كُنْتُ أَرْتَئِي وَأَنْسَى الذِي حُدِّثْتُ ثُمَّ تَغِيبُ**[١٠٤]

يُرِيدُ : أَرْتَئِيهِ، وَحُدِّثْتُهُ"[١٠٥]، وَقَالَ الفَيُّومِي : "وَيَحْذِفُونَ الصِّلَةَ تَخْفِيْفَاً ؛ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَهُوَ سَائِغٌ"[١٠٦].

- **حَذْفُ أَدَاةِ النِّدَاءِ (يَا)** : تُحْذَفُ أَدَاةُ النِّدَاءِ (يَا) ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، فَيُنَادِي المُنَادِي دُونَ وُجُودِهَا، وَقَدْ تَخْتَصُّ بِمُنَادَى مَا، فَيَشِيعُ حَذْفُهَا مَعَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ :

حَذْفُهَا مَعْ كَلِمَةِ (رَبِّ)، فَقَدْ وَرَدَتْ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي مَوْطِنِ الدُّعَاءِ مَائَةً وَسَبْعَاً وَثَلَاثِيْنَ مَرَّةً.

- **حَذْفُ يَاءِ المُتَكَلِّمِ** : قَدْ تُحْذَفُ (يَاءُ المُتَكَلِّمِ) عِنْدَمَا يَكُونُ المُنَادَى مُضَافَاً إِلَيْهَا، وَقَدْ أَشَارَ سِيْبَوَيْهِ إِلَى ذَلِكَ حَيْثُ قَالَ : "اعْلَمْ أَنَّ يَاءَ الإِضَافَةِ لَا تَثْبُتُ مَعَ النِّدَاءِ... وَصَارَ حَذْفُهَا هُنَا ؛ لِكَثْرَةِ النِّدَاءِ فِي كَلَامِهِمْ، حَيْثُ اسْتَغْنوا بِالكَسْرَةِ عَنِ (اليَاءِ)، وَلَمْ يَكُونُوا لِيُثْبِتُوا حَذْفَهَا إِلَّا فِي النِّدَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ لَبْسٌ فِي كَلَامِهِمْ لِحَذْفِهَا"[١٠٧].

ذ – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تُؤَثِّرُ فِي تَرْتِيْبِ الجُمْلَةِ** : إنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ تُؤَثِّرُ تَأثِيْرَاً كَبِيْرَاً فِي تَرْتِيْبِ الجُمْلَةِ، فِعْلِيَّةً كَانَتْ أوِ اسْمِيَّةً، وَتَقْدِيمِ بَعْضِ أرْكَانِهَا عَلَى بَعْضِهَا الآخَرِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ عَبْدُ القَاهِرِ الجُرْجانِيُّ عَنْ ذَلِكَ فِي بَابِ التَّقْدِيْمِ وَالتَّأخِيرِ، فَقَالَ : "هُوَ بَابٌ كَثِيرُ الفَوَائِدِ، جَمُّ المَحَاسِنِ، وَاسِعُ التَّصَرُّفِ، بَعِيدُ الغَايَةِ، ثُمَّ تَنْظُرُ فَتَجِدُ سَبَبَ أنْ رَاقَكَ، وَلَطُفَ عِنْدَكَ، أنْ قُدِّمَ فِيهِ شَيءٌ، وَحُوِّلَ اللَّفْظُ عَنْ مَكَانٍ إلى مَكَانٍ"(١٠٨)، وَمِنْ ذَلِكَ :

– **تَقْدِيمُ المَفْعُولِ عَلَى الفَاعِلِ** : قَدْ يَتَقَدَّمُ المَفْعُولُ عَلَى الفَاعِلِ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، حَتَّى يَصِيرَ كَأنَّهُ أصْلٌ، يَقُولُ ابْنُ جِنِّي : "حَتَّى إنَّ أصُولَهَا التِي أعْطَتْهَا حُكْمَاً مِنْ أحْكَامِهَا قَدْ حَارَتْ، فَاسْتَعَارَتْ مِنْ فُرُوعِهَا مَا كَانَتْ أدَّتْهُ إلَيْهَا، فَكَذَلِكَ... يَصِيرُ تَقْدِيمُ المَفْعُولِ لِمَا اسْتَمَرَّ وَكَثُرَ كَأنَّهُ هُوَ الأصْلُ، وَتَأخِيرُ الفَاعِلِ كَأنَّهُ، أيْضَاً، هُوَ الأصْلُ"(١٠٩).

وَمِمَّا سَبَقَ يتَّضِحُ أثَرُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ وَاضِحَاً عَلَى المُسْتَوَى النَّحْوِيَّ فِي العَرَبِيَّةِ.

## ثَالِثَاً – أثَرُ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ عَلَى المُسْتَوى الدِّلَالِيِّ :

إنَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ أثَرَاً جَلِيَّاً عَلَى الدِّلَالَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ :

أ – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ قَدْ تُوَسِّعُ الدِّلَالَةَ** : إنَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ أثَرَاً دِلَالِيَّاً وَاضِحَاً، وَمِنْ ذَلِكَ : أنَّهَا تُسَبِّبُ اتِّسَاعَاً فِي الدِّلَالَةِ حِيْنَاً، فَمِنْ ذَلِكَ :

أنَّهَا جَعَلَتْ أدَاةَ النِّدَاءِ (يَا) تُسْتَعْمَلُ لِلْبَعِيدِ وَالقَرِيبِ مَعَاً، يَقُولُ المُرَادِيُّ : "وَقِيلَ : (يَا) مُشْتَرَكَةٌ يُنَادَى بِهَا القَرِيبُ وَالبَعِيدُ ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، وَلِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا تَقُولُ : إنَّهَا هِيَ المَحْذُوفَةُ فِي النِّدَاءِ، فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾(١١٠)"(١١١).

ب – **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ قد تُضَيِّقُ الدِّلَالَةَ** : إنَّ مِنْ آثَارِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ الدِّلَالِيَّةِ : تَضْيِيقَ دِلَالَةِ بَعْضِ الألْفَاظِ وَالتَّرَاكِيبِ حِيْنَاً، وَمِنْ ذَلِكَ فِي الألْفَاظِ : كَلِمَةُ (دَابَّةٍ) ؛ فَإنَّهَا اسْمُ فَاعِلٍ مُؤَنَّث مِنَ الفِعْلِ (دَبَّ يَدِبُّ)، فَهِيَ لِكُلِّ مَا يَدِبُّ، ثُمَّ انْحَصَرَ اسْتِخْدَامُهَا، أوْ كَادَ، فِي الدِّلَالَةِ عَلَى نَوْعٍ خَاصٍّ مِمَّا يَدِبُّ، وَهُوَ الحَيَوَانُ، يَقُولُ

محمد الخضر حسين: "مِنَ الأَلْفَاظِ مَا يَكُونُ مَوْضُوعَاً فِي أَصْلِ اللُّغَةِ لِمَعْنًى كُلِّيٍّ يَتَنَاوَلُ جُزْئِيَّاتٍ مُتَعَدِّدَةً... ثمَّ يُطْلَبُ اسْتِعْمَالُهُ فِي جُزْئِيٍّ خَاصٍّ حَتَّى يَكُونَ هَذَا المَعْنَى الجُزْئِيُّ هُوَ المُتَبَادَرَ عِنْدَ الإِطْلَاقِ، مِثْلَ لَفْظَةِ (الدَّابَّةِ)"(١١٢).

ت - **كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَالتَّطَوُّرُ الدِّلَالِيُّ**: نُلَاحِظُ أَنَّ مَعْنَى الكَلِمَةِ يَزْدَادُ تَعَرُّضَاً لِلتَّغَيُّرِ كُلَّمَا زَادَ اسْتِعْمَالُهَا، وَكَثُرَ دَوْرُهَا فِي نُصُوصٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ لأَنَّ الذِّهْنَ فِي الوَاقِعِ يُوَجَّهُ كُلَّ مَرَّةٍ فِي اتِّجَاهَاتٍ جَدِيْدَةٍ، وَذَلِكَ يُوْحِي إِلَيْهِ بِخَلْقِ مَعَانٍ جَدِيْدَةٍ، وَمِنْ هُنَا يَنْتُجُ مَا يُسَمَّى بـ(التَّأَقْلُمِ)، وَيَجِبُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْ هَذَا الاسْمِ قُدْرَةُ الكَلِمَاتِ عَلَى اتِّخَاذِ دِلَالَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ تَبَعَاً لِلاسْتِعْمَالَاتِ المُخْتَلِفَةِ التِي تُسْتَعْمَلُ فِيهَا، وَعَلَى البَقَاءِ فِي اللُّغَةِ مَعْ هَذِهِ الدِّلَالَاتِ، يَقُولُ فندريس: "وَعِنْدَنَا مِثَالٌ جَمِيلٌ عن التَّأَقْلُمِ فِي كَلِمَةِ Bureau؛ بِمَعْنَى: (مَكْتَبٍ)؛ إِذْ كَانَتْ تَدُلُّ فِي الأَصْلِ عَلَى نَوْعٍ مِنْ نَسْجِ الصُّوفِ الغَلِيظِ...، ثُمَّ أُطْلِقَتْ عَلَى قِطْعَةِ الأَثَاثِ التِي تُغَطَّى بِهَذَا النَّسِيجِ، ثُمَّ عَلَى قِطْعَةِ الأَثَاثِ التِي تُسْتَعْمَلُ لِلْكِتَابَةِ أَيَّاً كَانَتْ، ثُمَّ عَلَى الغُرْفَةِ التِي تَحْتَوِي عَلَى هَذِهِ القِطْعَةِ مِنَ الأَثَاثِ، ثُمَّ عَلَى الأَعْمَالِ التِي تُعْمَلُ فِي هَذِهِ الغُرْفَةِ، ثُمَّ عَلَى الأَشْخَاصِ الذِيْنَ يَقُومُونَ بِهَذِهِ الأَعْمَالِ، وَأَخِيْرَاً عَلَى أَيَّةِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الأَشْخَاصِ تَقُومُ بِإِدَارَةِ إِحْدَى الإِدَارَاتِ، أَوِ الجَمْعِيَّاتِ"(١١٣).

هَذَا عَنْ أَثَرِ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ عَلَى المُسْتَوَى البِنْيَوِيِّ، أَوْ عَلَى المُسْتَوَى النَّحْوِيِّ، أَوْ عَلَى المُسْتَوَى الدِّلَالِيِّ.

## هوامش المبحث الثالث

١ – الفرّاء، أبو زكريا، يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي وزملائه، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ج ١، ص ٤٦٦.

٢ – ابن عصفور، أبو الحسن، علي بن مؤمن، **الممتع في التصريف**، تحقيق : فخر الدين قباوة، ط ٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٦١٧.

٣ – الحموز، عبد الفتاح، **ظاهرة القلب المكاني في العربية : عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها**، ط ١، دار عمّار، عمّان – الأردن، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٣٨.

٤ – ابن جني، **الخصائص**، ج ٢، ص ٨٤.

٥ – الفراء، **معاني القرآن**، ج ٢، ص ٥١.

٦ – السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح : محمد أحمد جاد المولى وزميليه، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت، ج ١، ص ١٨٤– ١٨٥.

٧ – ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ٣٧٢.

٨ – المرادي، **الجنى الداني**، ص ٤٧٦.

٩ – انظر هذه المذاهب وتفسيرها في : مكّي، أبو محمد بن أبي طالب، القيسي، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق : حاتم صالح الضامن، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ج ١، ص ٥. وابن الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج ١، ص ١٥ – ١٦. وأبو حيان الأندلسي، أثير الدين، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د. ت، ج ١، ص ١٥ – ١٧.

١٠ – السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق : عبد السلام محمد هارون وزميله، ط ١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م، ج ٦، ص ٣٢٨. وَينظر، أيضاً : ابن خالويه، **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، ص ١٣.

١١ – المرجع السابق، ج ٦، ص ٣٣١.

١٢ – المرجع السابق نفسه.

١٣ – ابن يعيش، أبو البقاء، يعيش بن علي، **شرح الملوكي في التصريف**، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط ٢، دار الأوزاعي، بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، ص ٣٨٣ – ٣٨٤.

١٤ – السيوطي، **همع الهوامع**، ج ٦، ص ٣٢٨.

١٥ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٣، ص ٦٣٢.

١٦ – المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٣٣.

١٧ – المرجع السابق نفسه.

١٨ – المرجع السابق، ج ٣، ص ٦١٧ – ٦١٨.

١٩ – المرجع السابق، ج ٣، ص ٦١٤.

٢٠ – ابن عقيل، بهاء الدين، عبد الله بن عبد الرحمن، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢٠، دار التراث، القاهرة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج ٤، ص ١٣١.

٢١ – من الكامل، وورد في: الحاوي، إيليا سليم، **شرح ديوان الفرزدق**، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٣٠٤، والبغدادي، **خزانة الأدب**، ج ١، ص ٢٠٦.

٢٢ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٣، ص ٦٣٣.

٢٣ – المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ج ٢، ص ٢١٦.

٢٤ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٥، ص ٥٦.

٢٥ – العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م، ج ٢، ص ٧٣١.

٢٦ – السيوطي، **همع الهوامع**، ج ٥، ص ١٢٦.

٢٧ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٤، ص ٤٠٥.

٢٨ – ابن جني، **الخصائص**، ج ٣، ص ١٤٩ – ١٥٠.

٢٩ – ابن الشجري، هبة الله بن علي، **أمالي ابن الشجري**، تحقيق: محمود محمد الطناحي، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج ٢، ص ١٨٢، وابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، مادة، تحقيق: عبد الله علي الكبير وزميليه، دار المعارف، القاهرة، د. ت، مادة (ضرر)، ج ٤، ص ٢٥٧٤، والبغدادي، **خزانة الأدب**، ج ٣، ص ٢٧٦.

٣٠ – ابن جني، **الخصائص**، ج ٣، ص ١٤٩ – ١٥٠.

٣١ – المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٠.

٣٢ – رضي الدين، **شرح شافية ابن الحاجب**، ج ٣، ص ٥٠.

٣٣ – الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٢٩٤.

٣٤ – ابن الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج ١، ص ٤٠٤.

٣٥ – رضي الدين، محمد بن الحسن، الأستراباذي، **شرح الرضي على الكافية**، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ج ٢، ص ٢٩٣.

٣٦ – من الآية ٩٧ من **سورة الكهف.**

٣٧ – من الآية ٩٧ من **سورة الكهف.**

٣٨ – ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ٢٦٠.

٣٩ – الأشموني، **شرح الأشموني**، ج ٤، ص ٣٥١.

٤٠ – ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، ج ٤، ص ٢٥١ – ٢٥٢.

٤١ – في الآية ٥٢ من **سورة هود**، وفي الآية ٣٨ من **سورة محمد**، وفي الآية ١٦ من **سورة الفتح**، وفي الآية ١٣١ من **سورة الممتحنة.**

٤٢ – في الآية ٣٢ من **سورة آل عمران**، وفي الآية ٢٠ من **سورة الأنفال**، وفي الآيتين ٣، ٥٧ من **سورة هود**، وفي الآية ٥٤ من **سورة النور.**

٤٣ – كعب بن زهير، **ديوانه**، قرأه وقَدَّم له : محمد يوسف نجم، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٨٥، والبغدادي، **خزانة الأدب**، ج ١١، ص ٣١٠.

٤٤ – البيت غير منسوب في : المرادي، **الجنى الداني**، ص ٤٥٨، والسيوطي، **همع الهوامع**، ج ٢، ص ٧٢.

٤٥ – ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (يدي)، ج ٦، ص ٤٩٥١.

٤٦ – مكي بن أبي طالب، أبو محمد، القيسي، **مشكل إعراب القرآن**، ج ١، ص ٧١.

٤٧ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٢، ص ٣٦٩.

٤٨ – المرجع السابق، ج ٢، ص ١٩٦.

٤٩ – الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح : تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق : إميل بديع يعقوب وزميله، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م، مادة (أنن)، ج ٥، ص ٤٨٢.

٥٠ – سيبويه، **الكتاب**، ج ١، ص ٢٦٥، ج ٣، ص ٢٨٦.

٥١ – من الآية ١٨٥ من **سورة آل عمران**.

٥٢ – الزمخشري، جار الله، محمود بن عمر، **الكشاف**، تحقيق وتعليق : عبد الرازق المهدي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج ١، ص ٤٨٥.

٥٣ – السيوطي، **همع الهوامع**، ج ٣، ص ٥٧.

٥٤ – الفيومي، **المصباح المنير**، مادة (جمل)، ص ١١٠.

٥٥ – الحاوي، إيليا سليم، **شرح ديوان الفرزدق**، ج ٢، ص ٢٦، وابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سحت)، ج ٣، ص ١٩٤٩، والبغدادي، **خزانة الأدب**، ج ٢، ص ٢٣٧.

٥٦ – ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ٩٥، وقد رُوي هذا الشاهد : يَدَعْ، وَيَدِعْ، بالبناء للمعلوم، وعلى هاتين الروايتين لا شاهد فيهما.

٥٧ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٢، ص ٢٥١.

٥٨ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٥٦.

٥٩ – السيوطي، **همع الهوامع**، ج ١، ص ٢٨٣.

٦٠ – السيوطي، **الأشباه والنظائر**، ج ١، ص ٤٣٢ – ٤٣٣، ج ٢، ص ٥٢٤.

٦١ – ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ٩٨.

٦٢ – رضي الدين، **شرح الرضي على الكافية**، ج ٢، ص ٢٥٩.

٦٣ – ابن جني، **الخصائص**، ج ٣، ص ١٢٧.

٦٤ – مايو، قدري، **شرح ديوان كثيّر**، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص ٢٣٦، وابن جني، **الخصائص**، ج ٣، ص ١٢٦.

٦٥ – من الآية ٧ من **سورة الفاتحة**.

٦٦ – العكبري، **التبيان في إعراب القرآن**، ج ١، ص ١١.

٦٧ – ورد الشاهد بلا نسبة في: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دوم)، ج ٢، ص ١٤٥٧، ومادة (ديم)، ج ٢، ص ١٤٦٧.

٦٨ – ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ٣٥٥ – ٣٥٦.

٦٩ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٤، ص ٣٦٥.

٧٠ – المرجع السابق، ج ٤، ص ١٥١.

٧١ – من الآية ١٥ من **سورة الحج**.

٧٢ – القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م، ج ١٢، ص ٢٧.

٧٣ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٤، ص ١٥١.

٧٤ – الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، **التعريفات**، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٤٥.

٧٥ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٤، ص ١١٨.

٧٦ – المرجع السابق، ج ٤، ص ١١٧.

٧٧ – المرجع السابق، ج ٤، ص ١٢٧.

٧٨ – رضي الدين، **شرح الرضي على الكافية**، ج ٣، ص ٣٢٦.

٧٩ – المرجع السابق نفسه.

٨٠ – السيوطي، **همع الهوامع**، ج ٦، ص ٣٢٣.

٨١ – ابن عصفور، أبو الحسن، علي بن مؤمن، **شرح جمل الزَّجاجي**، تحقيق : صاحب أبو جناح، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ج ١، ص ٥٣٢.

٨٢ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٨، ص ٣٤.

٨٣ – رضي الدين، **شرح الرضي على الكافية**، ج ١، ص ١٦٥.

٨٤ – ابن عقيل، **المساعد على تسهيل الفوائد**، ج ٢، ص ٥٦٢.

٨٥ – الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق، **اللامات**، تحقيق : مازن المبارك، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١١١.

٨٦ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٣، ص ٢٨٣.

٨٧ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٢، ص ٤٤.

٨٨ – رضي الدين، **شرح الرضي على الكافية**، ج ١، ص ٧٦.

٨٩ – سيبويه، **الكتاب**، ج ١، ص ٢٧٤.

٩٠ – من الآية ١٧١ من **سورة النساء**.

٩١ – سيبويه، **الكتاب**، ج ١، ص ٢٨٣.

٩٢ – المرجع السابق، ج ١، ص ٢٩٠.

٩٣ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ١، ص ١٢٧.

٩٤ – من الآية ٢٢ من **سورة هود**.

٩٥ – القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٩، ص ٢٤.

٩٦ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٢، ص ٨٥.

٩٧ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٣، ص ٥٠٣.

٩٨ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ١، ص ١٠٤.

٩٩ – رضي الدين، **شرح الرضي على الكافية**، ج ٤، ص ٣٧٧ – ٣٧٨.

١٠٠ – ابن سلّام، أبو عبيد، القاسم، **غريب الحديث**، تصحيح : محمد عظيم الدين، حيدر آباد، الهند، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، ج ٢، ص ٢٧١، والزمخشري، جار الله، محمود بن عمر، **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق : محمد البجاوي وزميله، ط ٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١م، ج ١، ص ٦٢، وينظر، أيضاً : ابن الشجري، **أمالي ابن الشجري**، ج ٢، ص ٦٣ – ٦٤.

١٠١ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ١، ص ١٠٤.

١٠٢ – السيوطي، **الأشباه والنظائر**، ج ١، ص ٢٧٤.

١٠٣ – من الآية ٤١ من **سورة الفرقان**.

١٠٤ – عروة بن حزام، **ديوانه**، جمع وتحقيق : أنطوان محسن القوَّال، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ص ٢٣، والبغدادي، **خزانة الأدب**، ج ٣، ص ٢١٤.

١٠٥ – ابن عقيل، **شرح ابن عقيل**، ج ١، ص ١٦٩.

١٠٦ – الفيومي، **المصباح المنير**، مادة (وصل)، ص ٢٦٣.

١٠٧ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٢، ص ٢٠٩.

١٠٨ – الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ١٠٦.

١٠٩ – ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ٢٩٨.

١١٠ – من الآية ٢٩ من **سورة يوسف**.

١١١ – المرادي، الجنى الداني، ص ٣٥٥.

١١٢ – حسين، محمد الخضر، **المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية**، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م، ج ١، ص ٢٩٧.

١١٣ – فندريس، **اللغة**، تعريب : عبد الحميد الدواخلي وزميله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م، ص ٢٥٣ – ٢٥٤.

# المَبْحَثُ الرَّابِعُ
# الأُسُسُ التِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي إِجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَدِيْثَاً

لَقَدْ أَلَحَّتْ كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ عَلَى المَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ حَتَّى أَذِنَتْ لَهَا، وَكَانَ لَهَا مِنْ الاهْتِمَامِ مِثْلُ مَا وَرَدَ عَنِ العَرَبِ مِنْ نَصِيبٍ، فَكَانَتْ كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ سَبَبَاً قَوِيَّاً فِي إِجَازَةِ دُخُولِ أَلْفَاظٍ وَأَسَالِيبَ إِلَى العَرَبِيَّةِ بَعْدَ مَا كَانَ مَحْكُومَاً عَلَيْهَا بِالخَطَأ وَالإِبْعَادِ.

فَقَدْ قَرَّرَ دُسْتُورُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيِّ: "تَتَبُّعَ الأَلْفَاظِ وَالأَسَالِيبِ الشَّائِعَةِ، فِي الصُّحُفِ، أَوِ المَجَلَّاتِ، أَوِ المَسْرَحِ، أَوِ الإِذَاعَةِ، أَوِ الرَّسَائِلِ، أَوِ الكُتُبِ، وَاتِّخَاذَ قَرَارَاتٍ بِشَأْنِهَا، وَأَنْ تُنْشَرَ عَلَى الجُمْهُورِ طِبْقَاً لِقَانُونِ المَجْمَعِ، فَتَسُدَّ حَاجَةً، وَتُحَقِّقَ قِسْطَاً مِنَ التَّهْذِيبِ، وَالإِصْلَاحِ"(١).

وَفِي تَقْدِيرِي أَنَّ هَذَا المَوْقِفَ مِنَ المَجْمَعِ القَاهِرِيِّ يَحْتَاجُ إِلَى إِعَادَةِ نَظَرٍ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ اتِّجَاهَهُ نَحْوَ إِجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ مِنَ الأَلْفَاظِ وَالأَسَالِيبِ لَيْسَ – في الحَقِّ – مُسَلَّمَاً عِنْدَنَا؛ إِذْ مِنَ المُمْكِنِ القَوْلُ: إِنَّ إِجَازَةَ الخَطَأ الشَّائِعِ قَدْ تُؤَدِّي إِلَى اضْطِرَابِ القَاعِدَةِ الأَصْلِيَّةِ التِي بُنِيَتْ – في الغَالِبِ – عَلَى الكَثِيرِ، وَعُدَّ مَا سِوَى هَذَا الكَثِيرِ شَاذَّاً، أَوْ نَادِرَاً، فَمَا الحَاجَةُ التِي تَدْفَعُ بِنَا إِلَى أَنْ نُدْخِلَ هَذَا الشَّاذَّ إِلَى قَوَاعِدِ اللُّغَةِ المُطَّرِدَةِ؟ الكَثْرَةُ!

إِنَّ الكَثْرَةَ – مَعِ اعْتِرَافِنَا بِقَدْرِهَا، وَتَأْثِيرِهَا – يَجِبُ أَنْ لَا تَكُونَ دَافِعَاً إِلَى تَبْرِيرِ الخَطَأ، وَإِجَازَتِهِ، نَاهِيكَ عَنْ جَعْلِهِ قَاعِدَةً إِلى جِوَارِ القَاعِدَةِ الأَصْلِيَّةِ المُطَّرِدَةِ.

ثمَّ إِنَّهُ بِالنَّظَرِ العَقْلِيِّ، وَالتَّحْلِيلِ المَنْطِقِيِّ سَوْفَ يُؤَدِّي – لَا مَحَالَةَ – إِلَى إِجَازَةِ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ فِي آنٍ، وَكَيْفَ يُصَحِّحُ هَذَا؟!

كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَسَعَنَا مَا وَسِعَ غَيْرَنَا مِنْ إِقْرَارِ القَاعِدَةِ المُطَّرِدَةِ، وَعَدِّ مَا سِوَاهَا

شَاذًّا، أوْ نَادِرًا حَتَّى تَسْلَمَ لَنَا قَوَاعِدُنَا، وَتَطَّرِدَ لَنَا أقْيِسَتُنَا، وَلَكِنْ – عَلَى كُلِّ حَالٍ – إنَّ مَجْمَعَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أَقَرَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ بِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَدَفَعَهُ ذَلِكَ إلَى إقْرَارِ ألْفَاظٍ وَأسَالِيْبَ نَجْعَلُهَا فِي هَذَا البَحْثِ مَوْضِعَ النَّظَرِ.

وَقَدْ اعْتَمَدَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ فِي إجَازَتِهِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ حَدِيْثًا عَلَى عِدَّةِ أُسُسٍ حَاوَلَ البَحْثُ اسْتِخْلَاصَهَا، وَضَرَبَ أمْثِلَةً تُبَيِّنُ طَرِيقَ عَمَلِهَا، وَمِنْ هَذِهِ الأُسُسِ:

## ١ – اعْتِمَادُ السَّمَاعِ وَالقِيَاسِ:

إنَّ السَّمَاعَ وَالقِيَاسَ مِنَ الأُسُسِ التِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ فِي إجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ، وَمِمَّا أجَازَهُ اعْتِمَادًا عَلَيْهِ:

– اسْتِعْمَالُ أُسْلُوبِ: (هَذَا عَامِلٌ كَسُولٌ)؛ فَقَدْ أجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ اسْتِعْمَالَ (هَذَا عَامِلٌ كَسُولٌ)؛ لِشُيُوعِ اسْتِعْمَالِهِ وَكَثْرَتِهِ، وَجَاءَ فِي قَرَارِهِ: "يُخَطِّئُ بَعْضُ البَاحِثِينَ مِثْلَ هَذَا التَّعْبِيرِ، وَيَقُولُونَ: إنَّ الصَّوَابَ فِيهِ: كَسِلٌ، أوْ كَسْلَانُ؛ لأنَّ المُعْجَمَاتِ أثْبَتَتْ لَفْظَ (الكَسُولِ) بَيْنَ أوْصَافِ المُؤَنَّثِ دُونَ المُذَكَّرِ.

وَقَدْ دَرَسَ المَجْمَعُ هَذَا، ثُمَّ انْتَهَى إلَى أنَّ التَّعْبِيرَ صَحِيحٌ بِدَلِيْلَيْنِ:

أ – أنَّ صِيغَةَ (فَعُولٍ) جَاءَتْ كَثِيْرًا مُشْتَرَكَةً بَيْنَ المُذَكَّرِ وَالمُؤَنَّثِ، مِثْلَ: غَيُورٍ، وَكَئُودٍ، وَغَضُوبٍ، وَلَا مَانِعَ مِنْ أنْ يَكُونَ (الكَسُولُ) مِثْلَهَا؛ إذِ (الكَسَلُ) فِي أصْلِهِ مِنَ المَعَانِي المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ الجِنْسَيْنِ.

ب – أنَّ لَفْظَ (الكَسُولِ) ثَبَتَ وُرُودُهُ وَصْفًا لِلْمُذَكَّرِ فِي بَيْتَيْنِ مِنَ الشِّعْرِ، وَهُمَا:

– قَوْلُ أُحَيْحَةَ بْنُ الجُلَاحِ [مِنَ الوَافِرِ]:

[١١]

**وَلَا وَأبِيكَ مَا يُغْنِي غَنَائِي ... مِنَ الفِتْيَانِ زُمَّيْلٌ كَسُولُ**(٢)

– وَقَوْلُ الرَّاعِي فِي مَلْحَمَتِهِ [مِنَ الكَامِلِ]:

[١٢]

**طَالَ التَّقَلُّبُ وَالزَّمَانُ وَرَابَهُ ... كَسَلٌ وَيَكْرَهُ أنْ يَكُونَ كَسُولَا**(٣)

وَعَلَى هَذَا يَكُونُ مِثلُ قَوْلِهِمْ : (عَامِلٌ كَسُولٌ) صَحِيْحَاً لَا مَانِعَ مِنِ اسْتِعْمَالِهِ[٤]، وَقَدْ اعْتَمَدَ المَجْمَعُ في قَرَارِهِ عَلَى النَّقْلِ، وَالقِيَاسِ :

أمَّا النَّقْلُ فَقَدْ وردَ وَصْفَاً لِمُذَكَّرٍ، وَهُوَ أنَّ الرَّاعِي قَدِ اسْتَعْمَلَ (الكَسُولَ) وَصْفَاً لِلْمُذَكَّرِ، كَمَا سَبَقَ آنِفَاً. وَأمَّا القِيَاسُ فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ أنَّهُ "يَتَرَدَّدُ في اللُّغَةِ المُعَاصِرَةِ وَصْفُ المُذَكَّرِ بـ (الكَسُولِ)، كَمَا في المِثَالِ المَذْكُورِ، وَيُنْكِرُ بَعْضُ البَاحِثِينَ أنْ يُوْصَفَ بِهِ، وَيَرَاهُ مِنْ أوْصَافِ الأُنْثَى خَاصَّةً، وَلَعَلَّ مَرْجِعَ ذَلِكَ أنَّ المَعَاجِمَ تَذْكُرُ (الكَسُولَ) مَعْ أوْصَافِ الأُنْثَى، وَلَا تَذْكُرُهُ مَعْ أوْصَافِ الذَّكَرِ، كَمَا فعل الزَّمَخْشَرِيُّ في (أسَاسِ البَلَاغَةِ)، وَابْنُ مَنْظُورٍ في (لِسَانِ العَرَبِ)، وَالفَيُّومِيُّ في (المِصْبَاحِ المُنِيرِ)، وَالفَيْرُوزْآبَادِي في (القَامُوسِ المُحِيطِ)، وَالزُّبَيْدِيُّ في (تَاجِ العَرُوسِ).

فَإنْ يَكُنْ ذَلِكَ هُوَ سَبَبَ المَنْعِ فَلَا أرَاهُ حُجَّةً نَاهِضَةً لِمَا يَأْتِي :

أ – أنَّ هَذِهِ المعَاجِمَ لَا تَلتَزِمُ نَهْجَاً وَاحِدَاً في ذِكْرِ الأَوْصَافِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ المُذَكَّرِ وَالمُؤنَّثِ ؛ فَهِيَ تَارَةً تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، يَقُولُ الفيروزآبادي، مَثَلاً : "هُوَ غَضِبٌ وَغَضُوبٌ، وَهِيَ غَضْبَى وَغَضُوبٌ"[٥]، وَيَقُولُ : "الكَنُودُ : الكُفْرُ، وَالكَنُودُ : المَرْأةُ الكَفُورُ لِلْمَوَدَّةِ وَالمُوَاصَلَةِ"[٦]، وَتَارَةً تَقْتَصِرُ عَلَى ذِكْرِ أحَدِهِمَا، فَيَقُولُ صَاحِبُ القَامُوسِ عَنِ المُذَكَّرِ : "القَطُوبُ : الذِي يَزْوِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ"[٧]، وَيَقُولُ : "الكَتُومُ : كَاتِمُ السِّرِّ"[٨]، وَيَقُولُ عَنِ المُؤنَّثِ : "الرَّقُوبُ : المَرْأةُ تُرَاقِبُ مَوْتَ زَوْجِهَا"[٩]، وَيَقُولُ، أيْضَاً : "العَجُولُ : الثَّكْلَى"[١٠].

ب – أنَّ (الكَسَلَ) مِنَ الأوْصَافِ المُشْتَرَكَةِ بَيْنَ المُذَكَّرِ وَالمُؤنَّثِ، وَلَمْ تَنُصّ هَذِهِ المَعَاجِمُ عَلَى اخْتِصَاصِ الأُنْثَى بِهِ، فَمَاذَا يَمْنَعُ مِنْ مُشَارَكَةِ المُذَكَّرِ لِلْمُؤنَّثِ في الاتِّصَافِ بِهِ قِيَاسَاً عَلَيْهِ ؟

وَهَذَا ابْنُ جِنِّي يَعْقِدُ في الخَصَائِصِ بَابَاً عُنْوَانُهُ : (مَا قِيْسَ عَلَى كَلَامِ العَرَبِ فَهُوَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ)، يَقُولُ فِيهِ : "هَذَا مَوْضِعٌ شَرِيفٌ، وَأكْثَرُ النَّاسِ يَضْعُفُ عَنِ احْتِمَالِهِ ؛ لِغُمُوضِهِ وَلُطْفِهِ، وَالمَنْفَعَةُ بِهِ عَامَّةٌ، وَالتَّسَانُدُ إلَيْهِ مُقَوٍّ مُجْدٍ "، وَقَدْ نَصَّ أبُو عُثْمَانَ عَلَيْهِ، فَقَالَ : "مَا قِيسَ عَلَى كَلَامِ العَرَبِ فَهُوَ مِنْ كَلَامِ العَرَبِ، أَلَا تَرَى أنَّهُ لَمْ

تَسْمَعْ أنْتَ، وَلَا غَيْرُكَ اسْمَ كُلِّ فَاعِلٍ، وَلَا مَفْعُولٍ، وَإنَّمَا سَمِعْتَ البَعْضَ، فَقِسْتَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ"(١١).

## ٢ – اعْتِمَادُ القِيَاسِ وَحْدَهُ :

القِيَاسُ مِمَّا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ في إجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ، وَمِمَّا أجَازَهُ اعْتِمَادَاً عَلَيْهِ :

– اسْتِعْمَالُ أُسْلُوبِ (تَصْفِيَةُ المُشْكِلَاتِ) : لَقَدْ أجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أُسْلُوبَ (تَصْفِيَةُ المُشْكِلَاتِ) ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، وَوَرَدَ في قَرَارِهِ : "يَشِيعُ في اللُّغَةِ المُعَاصِرَةِ قَوْلُهُمْ : تَصْفِيَةُ المُشْكِلَاتِ، وَتَصْفِيَةُ الخِلَافِ، وَتَصْفِيَةُ البَضَائِعِ، وَتَصْفِيَةُ الحِسَابِ، مُرَادَاً بِهَا الإنْهَاءُ، وَالحَلُّ، وَالإزَالَةُ.

وَقَدْ يَبْدُو لِلنَّاقِدِ المُتَعَجِّلِ أنَّ اسْتِعْمَالَ هَذَا المَصْدَرِ بِهَذَا المَعْنَى غَيْرُ جَارٍ عَلَى سَنَنِ العَرَبِيَّةِ ؛ لأنَّ مَعْنَى (الصَّفَاءِ) في اللُّغَةِ : هُوَ الخُلُوصُ مِنَ الكُدْرَةِ، وَالخَلَاءُ مِمَّا يَشُوبُ، فَيُقَالُ : صَفَّيْتُ الشَّيْءَ مِنَ القَذَى : أَزَلْتُه عَنْهُ.

وَقَدْ وَرَدَتْ مَادَّةُ (صَفَا) في المَعَاجِمِ لِلدِّلَالَةِ عَلَى الانْقِطَاعِ، وَالإخْلَاءِ، وَالإزَالَةِ مَجَازَاً، فَيُقَالُ : أَصْفَى الشَّاعِرُ ؛ أي : انْقَطَعَ شِعْرُهُ، وَأَصْفَتِ الدَّجَاجَةُ : انْقَطَعَ بَيْضُهَا، وَأصْفَى الأمِيرُ الدَّارَ : أخْلَاهَا.

وَلَمَّا كَانَ الإصْفَاءُ وَالتَّصْفِيَةُ تَجْمَعُهُمَا مَادَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ (صَفَا) فَإنَّهُ يَجُوزُ قِيَاسُ (صَفَى) عَلَى (أَصْفَى) ؛ بِمَعْنَى : مَا تَؤولُ إلَيْهِ التَّصْفِيَةُ، وَهُوَ : الإنْهَاءُ، وَالإخْلَاءُ، وَالإزَالَةُ.

وَلِهَذَا يَرَى المَجْمَعُ أنَّ (التَّصْفِيَةَ) في مَعْنَاهَا العَصْرِيِّ ؛ بِمَعْنَى : الإزَالَةِ، وَالحَلِّ، وَالإنْهَاءِ، صَحِيحَةٌ، وَلَا مَانِعَ مِنْ تَدَاوُلِهَا في أسَالِيبِ الكَلَامِ"(١٢).

وَقَدْ جَاءَ في حَيْثِيَّاتِ هَذَا القَرَارِ : "أنَّ كَلِمَةَ (تَصْفِيَةٍ) تَدُلُّ بَعْضُ مَعَانِيْهَا عَلَى إزَالَةِ القَذَى وَالكُدْرَةِ، وَعَلَى تَذْرِيَةِ كَدِّ القَمْحِ، وَلَا يَصِحُّ إطْلَاقُهَا بِهَذَا المَعْنَى عَلَى المُرَادِ

مِنْ تَصْفِيَةِ الخِلَافَاتِ، أوْ تَصْفِيَةِ المُشْكِلَاتِ...، وَالذِي أرَاهُ أنَّ المُرَادَ مِنْ (تَصْفِيَةِ المُشْكِلَاتِ وَالخِلَافَاتِ) : مَحْوُهَا، وَإزَالَتُهَا.

وَقَدْ أُخِذَ هَذَا المَعْنَى مِنَ الفِعْلِ (صَفَّى) المُضَعَّفِ العَيْنِ الذِي يَدُلُّ عَلَى الإزَالَةِ وَالسَّلْبِ، وَالإخْلَاءِ ؛ فَقَدْ أَوْرَدَ الرَّضِيُّ أنَّ : "مِنْ مَعَانِي فَعَّلَ المُضَعَّفِ العَيْنِ : الإزَالَةَ، وَالسَّلْبَ، يُقَالُ : جَلَدْتُ الشَّاةَ ؛ أيْ : أزَلْتُ جِلْدَهَا، وَفَرَّقْتُهُ بِالسَّلْخِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾[١٣] ؛ أيْ : فَرَّقْنَا بَيْنَهُمْ، وَقَطَعْنَا الصِّلَاتِ التِي كَانَتْ تَرْبِطُهُمْ، وَنَحْو : قَرَّدَ الغُرَابُ البَعِيرَ ؛ أيْ : وَقَعَ عَلَيْهِ، وَالْتَقَطَ قُرَادَهُ، وَأزَالَهُ، وَإذَنْ، فَإنَّهُ يَصِحُّ قَوْلُهُمْ : تَصْفِيَةُ المُشْكِلَاتِ، وَتَصْفِيَةُ الخِلَافَاتِ"[١٤].

وَقَدْ أخَذَ الأُسْتَاذُ محمد شوقي أمين، عَلَى هَذَا الرَّأيِ أنَّ التَّضْعِيفَ يَكُونُ لِلسَّلْبِ، يَقُولُ : "وَالنَّاظِرُ فِي هَذَا التَّعْلِيلِ لَا يَمْلِكُ أنْ يُنَازِعَ فِي أنَّ التَّضْعِيفَ يَجِيءُ لِلسَّلْبِ وَالإزَالَةِ، شَأنُهُ شَأنُ الهَمْزِ، كَمَا فِي : أشْكَيْتُهُ ؛ أيْ : أزَلْتُ شَكْوَاهُ، وَلَكِنَّ الأمْثِلَةَ التِي تُسَاقُ عَلَى ذَلِكَ تَدُلُّ عَلَى أنَّ المَقْصُودَ إزَالَةُ المَعْنَى المُسْتَفَادِ مِنَ المُسْنَدِ عَنِ المُسْنَدِ إلَيْهِ، وَسَلْبُهُ إيَّاهُ.

فَإذَا أعْمَلْنَا هَذَا المَفْهُومَ اللُّغَوِيَّ لِلسَّلْبِ وَالإزَالَةِ، فِيمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ مِنَ التَّعْبِيرِ العَصْرِيِّ، خَرَجْنَا بِعَكْسِ المُرَادِ مِنْهُ ؛ إذْ يَكُونُ المَعْنَى فِي مِثْلِ : "تَصْفِيَةُ المُشْكِلَاتِ"، وَنَحْوِهَا : إزَالَةَ صَفَائِهَا، كَمَا فِي : "جَلَّدْتُ الشَّاةَ" ؛ أزَلْتُ جِلْدَهَا، وَقَرَّدْتُ البَعِيرَ : أزَلْتُ قُرَادَهُ"[١٥].

وَرُبَّمَا كَانَ أدْنَى إلَى القَبُولِ أنْ نَتَّجِهَ وُجْهَةً أُخْرَى فِي التَّخْرِيجِ، وَهِيَ النَّظَرُ فِيمَا تُثْبِتُهُ اللُّغَةُ فِي مَادَّةِ (صَفَا) مِنْ قَوْلِ العَرَبِ : أَصْفَتِ الدَّجَاجَةُ ؛ أيْ : انْقَطَعَ بَيْضُهَا، وَأصْفَى الشَّاعِرُ : انْقَطَعَ شِعْرُهُ، وَأصْفَتِ الدَّارُ : خَلَتْ ؛ فَفِي هَذِهِ الاسْتِعْمَالَاتِ لِلإصْفَاءِ نَلْمَحُ مَعْنَى الخَلَاءِ، وَالانْقِطَاعِ، وَالانْتِهَاءِ. وَقَدْ عَلَّلَ اللُّغَوِيُّونَ كَالجَوْهَرِيِّ[١٦] وُرُودَ بَعْضِهَا بِأنَّهُ عَلَى سَبِيلِ المَجَازِ.

أَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَا يُسَوِّغُ لَنَا أنْ نَجْنَحَ إلَى صَوْغِ الفِعْلِ (صَفَّى) المُضَعَّفِ

المُتَعَدِّي مِنْ مَادَّةِ (صَفَا) ؛ بِمَعْنَى : أَنْهَى، وَقَطَعَ، وَخَلَصَ، كَمَا صَاغَتِ العَرَبُ (أَصْفَى) لَازِمَاً لِمَعْنَى الانْقِطَاعِ، وَالخَلَاصِ، وَالخَلَاءِ ؟

وَثَمَّةَ مَلْحَظٌ آخَرُ لَا أَرَى مُجَافَاتَهُ لِرُوحِ اللُّغَةِ، ذَلِكَ هُوَ تَوْجِيهُ التَّعْبِيرِ العَصْرِيِّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ بَابِ : القَلْبِ المَكَانِيِّ، أَوِ المَعْنَوِيِّ، أَوِ القَلْبِ فِي القِصَّةِ لَا فِي اللَّفْظَةِ، وَمِنْ أَمْثِلَتِهِ فِي العَرَبِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾[١٧]، وَعَرَضْتُ الدَّابَّةَ عَلَى الحَوْضِ، وَأَدْخَلْتُ القَلَنْسُوَةَ فِي رَأْسِهِ، وَالخَاتِمَ فِي أُصْبَعِهِ، وَالجَوْرَبَ فِي رِجْلِهِ، وَقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ الثَّعَالِبِيُّ[١٨]، وَقَالَ الفَيُّومِيُّ عَنْهُ : "إِنَّهُ كَثِيْرٌ فِي العَرَبِيَّةِ"[١٩].

وَقَدْ رَأَى الأُسْتَاذُ علي النجدي ناصف، أَنَّ لَهَا تَخْرِيجَاً آخَرَ، يَقُولُ : "تَتَرَدَّدُ كَلِمَةُ (التَّصْفِيَةِ) فِي اللُّغَةِ المُعَاصِرَةِ، فَيُقَالُ مَثَلاً : تَصْفِيَةُ الخِلَافِ، وَتَصْفِيَةُ الشَّرِكَةِ، وَهَكَذَا، وَالمُرَادُ بِهَا حَيْثُمَا تُذْكَرُ أَدَاءُ مَعْنَى الإِزَالَةِ، وَالإِنْهَاءِ ؛ فَتَصْفِيَةُ الخِلَافِ تَعْنِي : عِلَاجَ أَسْبَابِهِ بِمَا يُنْهِيهِ وَيُبْطِلُهُ، وَتَصْفِيَةُ الشَّرِكَةِ تَعْنِي : حَصْرَ مَا لَهَا، وَاسْتِيْفَاءَهُ، وَحَصْرَ مَا عَلَيْهَا، وَأَدَاءَهُ، وَبِهَذَا تَزُولُ شَخْصِيَّتُهَا المَعْنَوِيَّةُ، وَلَا يَبْقَى لَهَا وُجُودٌ.

وَمَادَّةُ (التَّصْفِيَةِ) فِي اللُّغَةِ تَدُلُّ حَقِيقَةً عَلَى انْقِطَاعِ الشِّعْرِ، وَمَجَازَاً عَلَى إِخْلَاءِ المَكَانِ، وَانْقِطَاعُ الشِّعْرِ يُعَدُّ بِلَا خِلَافٍ انْتِهَاءً لَهُ، وَإِخْلَاءُ المَكَانِ يُعَدُّ كَذَلِكَ إِنْهَاءً لِشَغْلِهِ.

وَيَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا العَرْضِ أَنَّ (التَّصْفِيَةَ) فِي مَعْنَاهَا العَصْرِيِّ، وَ (التَّصْفِيَةَ) فِي مَعْنَاهَا اللُّغَوِيِّ تَلْتَقِيَانِ فِي مَعْنَى الإِزَالَةِ، وَالإِنْهَاءِ، وَإِذَنْ يَكُونُ اسْتِعْمَالُ (التَّصْفِيَةِ) فِي مَعْنَاهَا العَصْرِيِّ صَحِيْحَاً، وَلَا مَانِعَ مِنْ تَدَاوُلِهَا فِي أَسَالِيبِ الكَلَامِ"[٢٠].

– وَمِمَّا أَجَازَهُ اعْتِمَادَاً عَلَى القِيَاسِ، أَيْضَاً، اسْتِعْمَالُ (تَرْبَوِيٍّ وَتَنْمَوِيٍّ) : أَجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ النَّسَبَ إِلَى (تَرْبِيَةٍ) فِي صُوْرَةِ (تَرْبَوِيٍّ)، وَالنَّسَبَ إِلَى (تَنْمِيَةٍ) فِي صُورَةِ (تَنْمَوِيٍّ)، وَجَاءَ نَصُّ قَرَارِهِ : "يَشِيعُ فِي لُغَةِ عُلَمَاءِ التَّرْبِيَةِ وَالاقْتِصَادِ مِثْلُ قَوْلِهِمْ فِي النِّسْبَةِ إِلَى (تَرْبِيَةٍ، وَتَنْمِيَةٍ) : تَرْبَوِيٌّ، وَتَنْمَوِيٌّ، وَقَدْ يُؤْخَذُ عَلَى هَاتَيْنِ النِّسْبَتَيْنِ، وَمَا شَاكَلَهُمَا أَنَّهُمَا تُخَالِفَانِ المَشْهُورَ مِنْ فَصِيحِ العَرَبِيَّةِ ؛ فَالمُقَرَّرُ فِي النَّسَبِ إِلَى المَنْقُوصِ الذِي رَابِعُهُ يَاءٌ أَحَدُ وَجْهَيْنِ ؛ الأَوَّلُ : أَنْ تُحْذَفَ اليَاءُ، فَيُقَالُ : قَاضِيٌّ.

وَالثَّانِي : أنْ لَا تُحْذَفَ هَذِهِ (اليَاءُ)، بَلْ يُفْتَحَ مَا قَبْلَهَا، وَتُقْلَبَ هِيَ وَاوَاً، ثُمَّ تُضَافَ (يَاءُ) النَّسَبِ، فَيُقَالُ : قَاضَوِيٌّ.

وَلَمَّا كَانَ إعْمَالُ هَذِهِ القَاعِدَةِ عَلَى (تَرْبَوِيٍّ، وَتَنْمَوِيٍّ)، يَجْعَلُهَا مُشَاكِلَةً لِمَا أَقَرَّهُ سِيْبَوَيْهِ لِنَحْوِ : عَرْقُوَةٍ، وَقَرْنُوَةٍ، وَقَدْ ضُمَّ مَا قَبْلَ (الوَاوِ) في المَنْسُوبِ، وَفُتِحَ عِنْدَ النِّسْبَةِ، تَرَى اللَّجْنَةُ أنَّ النِّسْبَةَ إلَى مِثْلِ : تَرْبِيَةٍ، وَتَنْمِيَةٍ، وَتَزْكِيَةٍ : تَرْبَوِيٌّ، وَتَنْمَوِيٌّ، وَتَزْكَوِيٌّ، صَحِيْحَةُ الاسْتِعْمَالِ "[٢١].

وَجَاءَ فِي حَيْثِيَّاتِ هَذَا القَرَارِ : "وَحِيْنَمَا نَرْجِعُ إلَى مَوْسُوعَاتِ النَّحْوِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا : كِتَابُ سِيْبَوَيْهِ، وَشَرْحُ ابْنِ يَعِيشَ عَلَى المُفَصَّلِ، وَحَاشِيَةُ الصَّبَّانِ عَلَى الأشْمُونِيِّ، نَجِدُ الأمْرَ هَيِّنَاً مُسْتَتِبَّاً ؛ فَإنَّ قَاعِدَةَ النَّسَبِ فِيمَا كَانَتْ فِيهِ يَاؤُهُ رَابِعَةً قَبْلَهَا كَسْرَةٌ، كَـ: القَاضِي وَالقَاضِيَةِ، وَالرَّامِي وَالرَّامِيَةِ، وَالرَّاعِي وَالرَّاعِيَةِ، أنْ يُنْسَبَ إلَيْهِ بِأَحَدِ وَجْهَيْنِ ؛ الوَجْهُ الأوَّلُ : أنْ تُحْذَفَ هَذِهِ (اليَاءُ) عِنْدَ النَّسَبِ، فَيُقَالُ : قَاضِيٌّ، وَرَاعِيٌّ، وَرَامِيٌّ، وَتَرْبِيٌّ، وَتَنْمِيٌّ. وَالوَجْهُ الثَّانِي : ألَّا تُحْذَفَ هَذِهِ (اليَاءُ)، بَلْ يُفْتَحَ مَا قَبْلَهَا، وَتُقْلَبَ هِيَ وَاوَاً، ثُمَّ تُضَافُ (يَاءُ) النَّسَبِ، فَيُقَالُ : قَاضَوِيٌّ، وَرَامَوِيٌّ، وَرَاعَوِيٌّ... إلخ.

وَيُعَلِّلُونَ قَلْبَ يَائِهِ وَاوَاً بِأَنَّ الفَتْحَةَ الطَّارِئَةَ اقْتَضَتْ قَلْبَ (اليَاءِ) ألِفَاً ؛ لِتَحَرُّكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا جَرْيَاً عَلَى القَاعِدَةِ الصَّرْفِيَّةِ المَعْرُوفَةِ، ثُمَّ قُلِبَتْ تِلْكَ (الألِفُ) وَاوَاً، كَمَا قُلِبَتْ فِي النَّسَبِ إلَى : مَلْهَىً، وَمَغْزَىً، وَحُبْلَى، حَيْثُ قَالُوا : مَلْهَوِيٌّ، وَمَغْزَوِيٌّ، وَحُبْلَوِيٌّ.

قَالَ سِيبَوَيْهِ : "وَتَقُولُ إذَا أَضَفْتَ ؛ أيْ : نَسَبْتَ إلَى رَجُلٍ اسْمُهُ (يَرْمَى) : يَرْمِيٌّ، وَقَالَ الخَلِيلُ : مَنْ قَالَ فِي (يَثْرِبَ) : يَثْرَبِيٌّ، وَفِي (تَغْلِبَ) : تَغْلَبِيٌّ، فَفَتَحَ مُغَيِّرَاً فَإنَّهُ إنْ غَيَّرَ مِثْلَ : يَرْمَى، عَلَى هَذَا الحَدِّ قَالَ : يَرْمَوِيٌّ، كَأنَّهُ أضَافَ إلَى يَرْمَى..."[٢٢].

وَمِمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ الصَّرْفِيُّونَ عَلَى جَوَازِ هَذَا الوَجْهِ الثَّانِي أنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي النَّسَبِ إلَى (عَرْقُوَةٍ)، وَ (قَرْنُوَةٍ) : عَرْقَوِيٌّ، وَقَرْنَوِيٌّ، بِفَتْحِ مَا قَبْلَ الوَاوِ[٢٣].

وَعَلَى هَذَا يُقَالُ فِي النَّسَبِ إلَى (تَرْبِيَةٍ)، وَ (تَنْمِيَةٍ)، وَ (تَصْفِيَةٍ)، وَ (تَعْبِيَةٍ) : تَرْبَوِيٌّ، وَتَصْفَوِيٌّ، وَتَنْمَوِيٌّ، وَتَعْبَوِيٌّ، بِوَاوَاتٍ مَفْتُوحٍ مَا قَبْلَهَا "[٢٤].

### ٣ – اعْتِمَادُ الحَمْلِ عَلَى النَّظِيرِ :

اعْتَمَدَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ فِي إِجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى الحَمْلِ عَلَى النَّظِيرِ، وَمِمَّا أَجَازَهُ اعْتِمَادَاً عَلَيْهِ :

– اسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ (وَقَائِعَ) ؛ بِمَعْنَى : (الأَحْدَاثِ) : لَقَدْ أَجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ اسْتِخْدَامَ كَلِمَةِ (وَقَائِعَ) ؛ بِمَعْنَى :(الأَحْدَاثِ)، وَجَاءَ فِي قَرَارِهِ : "يُخَطِّئُ بَعْضُ النُّقَّادِ كَلِمَةَ (الوَقَائِعِ) عَلَى أَسَاسِ أَنَّ مُفْرَدَهَا : (وَقِيْعَةٌ)، فَلَا تُؤَدِّي مَعْنَاهَا الذِي تُسَاقُ فِيهِ.

وَتَرَى اللَّجْنَةُ (لَجْنَةُ الأَلْفَاظِ وَالأَسَالِيبِ) تَصْحِيْحَ هَذَا اللَّفْظِ عَلَى أَنَّ المُفْرَدَ (وَقْعَةٌ) حَمْلاً عَلَى نَظَائِرِهِ، مِثْلُ : رُخْصَةٌ وَرَخَائِصُ، وَحَلْبَةٌ وَحَلَائِبُ، وَكَنَّةٌ وَكَنَائِنُ "[٢٥].

وَجَاءَ فِي حَيْثِيَّاتِ القَرَارِ أَنَّ : "الأُسْتَاذَ محمد شوقي أمين، قَدَّمَ إِلَى (لَجْنَةِ الأَلْفَاظِ وَالأَسَالِيبِ) مُذَكِّرَةً عَرَضَ فِيهَا لِهَذِهِ الكَلِمَةِ التِي ذَاعَتْ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ ؛ بِمَعْنَى : الأَحْدَاثِ، مَعْ أَنَّ مُفْرَدَهَا الصَّرْفِيَّ هُوَ : (الوَقِيعَةُ)، كَمَا تَنُصُّ اللُّغَةُ، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ أَوْجُهِ التَّخْرِيجِ المُمْكِنَةِ لِلْكَلِمَةِ، وَانْتَهَى إِلَى أَنَّهُ أَيًّا مَا كَانَ التَّخْرِيجُ فَلَا مَنْدُوحَةَ عَنْ قَبُولِ (الوَقَائِعِ) ؛ لِشُيُوعِهَا الأَعَمِّ، إِمَّا عَلَى أَنَّ مُفْرَدَهَا (وَقْعَةٌ) حَمْلاً لَهَا عَلَى نَظَائِرِهَا، مِثْلُ : ضَرَّةٌ، وَرُخْصَةٌ، وَكَنَّةٌ، وَاسْتِئْنَاساً بِوُرُودِهَا عِنْدَ الزَّمَخْشَرِيِّ[٢٦]. وَإِمَّا عَلَى أَنَّ مُفْرَدَهَا : (وَقِيعَةٌ) بِتَحْوِيلِ فِعْلِهَا إِلَى (فَعُلَ)، مَضْمُومِ العَيْنِ، وَصَوْغِ الوَصْفِ مِنْهُ عَلَى (فَعِيلَةٍ) لِلتَّأْنِيثِ "[٢٧].

– وَمِمَّا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ المَجْمَعُ اللُّغَوِيُّ القَاهِرِيُّ فِي إِجَازَتِهِ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ الحَمْلَ عَلَى النَّظِيرِ، أَيْضَاً : جَمْعُ (نِيَّةٍ) عَلَى (نَوَايَا) ؛ نَظَرَاً لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ (نَوَايَا) جَمْعَاً لِـ (نِيَّةٍ)، وَنَصَّ قَرَارُهُ عَلَى أَنَّهُ : "يَرَى المَجْمَعُ قَبُولَ كَلِمَةِ (النَّوَايَا) فِي مَعْنَى : النِّيَّاتِ ؛ حَمْلاً لَهَا عَلَى نَظِيْرَتِهَا بِمَعْنَاهَا، وَهِيَ : الطَّوَايَا، أَوْ بِاعْتِبَارِهَا جَمْعَاً لِـ " نِيَّةٍ " ؛ حَمْلاً لَهَا عَلَى نَظَائِرِهَا مِنَ الكَلِمَاتِ التِي جُمِعَتْ فِيهَا (فِعْلَةٌ) عَلَى (فَعَائِلَ).

وَاسْتَدَلَّ الأُسْتَاذُ علي النجدي ناصف، عَلَى صِحَّةِ هَذَا الاسْتِعْمَالِ بِأَدِلَّةٍ هِيَ :

أ – أَنَّ جَمْعَ (النِّيَّةِ) عَلَى (النَّوَايَا) شَائِعٌ جِدًّا فِي لُغَةِ العَصْرِ، حَتَّى لَا يُذْكَرُ لَهَا فِي هَذِهِ اللُّغَةِ جَمْعٌ سِوَاهُ.

ب – وَأَنَّ جَمْعَ التَّكْسِيرِ يَشِيعُ فِيهِ السَّمَاعُ، وَلَا يَكَادُ يُدَانِيهِ فِي الأَخْذِ بِهِ بَابٌ آخَرُ مِنْ أَبْوَابِ الصَّرْفِ.

ت – وَأَنِّي قَدْ جَمَعْتُ طَائِفَةً كَبِيْرَةً مِنَ الكَلِمَاتِ التِي جُمِعَتْ سَمَاعًا عَلَى (فَعَائِلَ)، كَمَا جُمِعَتِ (النِّيَّةُ) عَلَيْهَا، وَبَعْضُ هَذِهِ الكَلِمَاتِ يُوَافِقُ (النِّيَّةَ) فِي عَدَدِ الحُرُوفِ، وَبَعْضِ حَرَكَاتِ البِنْيَةِ، وَبَعْضُهَا رُبَاعِيٌّ قَبْلَ آخِرِهِ حَرْفٌ، لَكِنْ مُذَكَّرٌ "(٢٨).

ثمَّ يَقُولُ: "أَرَى أَنَّهُ، فِي ضَوْءِ مَا ذَكَرْتُ مِنْ مُلَاحَظَاتٍ، وَمَعْ مَا عَرَضْتُ مِنْ مُفْرَدَاتٍ، يُمْكِنُ أَنْ يُقْبَلَ جَمْعُ (النِّيَّةِ) عَلَى (النَّوَايَا)، وَأَنْ يَثْبُتَ لَهَا حِيْنَئِذٍ مِنْ صِحَّةِ الاسْتِعْمَالِ، وَشُيُوعِ التَّدَاوُلِ، مِثْلُ مَا لِنَظَائِرِهَا مِنَ المُفْرَدَاتِ التِي جُمِعَتْ سَمَاعًا عَلَى فَعَائِلَ "(٢٩).

وَقَدْ حَاوَلَ الأُسْتَاذُ محمد شوقي أمين، إِجَازَةَ هَذَا الجَمْعِ، وَقَدَّمَ لِذَلِكَ تَوْجِيهَيْنِ هُمَا:

أ – مِنْ أَبْنِيَةِ أَسْمَاءِ المَفْعُولِينَ صِيْغَةُ (فَعِيلٍ)، مِثْلُ: جَرِيحٍ، وَقَتِيْلٍ، وَقَدْ تَعَدَّدَتْ أَقْوَالُ النُّحَاةِ فِي جَوَازِ تَحْوِيلِ صِيْغَةِ (مَفْعُولٍ) إِلَى (فَعِيلٍ):

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يُقْتَصَرُ فِيهَا عَلَى المَنْقُولِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ أَمْثِلَتَهَا كَثِيرَةٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا مَقِيسَةٌ. وَفِي الوُسْعِ الاسْتِنَادُ إِلَى القَائِلِ بِالقِيَاسِ، وَالاسْتِنَادُ، أَيْضَاً، إِلَى القَائِلِ بِالكَثْرَةِ؛ فَقَدْ جَرَى المَجْمَعُ فِي قَرَارَاتِهِ فِي جُمُوعِ التَّكْسِيرِ عَلَى التَّنْظِيرِ بَيْنَ كَلِمَةِ القِيَاسِ، وَالكَثِيرِ فِي الدِّلَالَةِ عَلَى مَا يَنْقَاسُ، وَعَلَى أَنَّ اسْتِعْمَالَ هَذِهِ الكَلِمَةِ، أَوْ تِلْكَ يُسَوِّغُ لِلْمُحْدَثِينَ مِنَ المُؤَلِّفِينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يُسْمَعْ عَلَى مَا سُمِعَ.

فَإِذَا أَعْمَلْنَا ذَلِكَ فِي كَلِمَةِ (مَنْوِيَّةٍ)، وَحَوَّلْنَا صِيْغَةَ (مَفْعُولٍ) فِيهَا إِلَى (فَعِيلٍ) خَلَصَتْ لَنَا كَلِمَةُ (نَوِيَّة)؛ بِمَعْنَى: المَنْوِيَّةِ؛ أَيْ: الرَّغْبَاتُ المَنْوِيَّةُ، أَوِ المَقْصُودَةُ، وَإِذَا تَوَخَّيْنَا جَمْعَ (النَّوِيَّةِ) جَمْعَ تَكْسِيرٍ، بِنَاءً عَلَى قَاعِدَةِ العَرَبِيَّةِ، فَالجَمْعُ: (نَوَايَا) لَا نِزَاعَ.

عَلَى أَنَّ مِنْ مَسْمُوعِ اللُّغَةِ: فُلَانٌ نَوِيُّ القَوْمِ؛ أَيْ: مُنْتَوَاهُمْ، وَانْتَوَاهُ: قَصَدَهُ؛

فَالنَّوِيُّ هُنَا (فَعِيلٌ) ؛ بِمَعْنَى : مَفْعُولٍ، وَالنَّوِيَّةُ : المَقْصُودَةُ، وَجَمْعُهَا : (النَّوَايَا) ؛ أيْ : المَقَاصِدُ "(٣٠).

ب – "أنَّ كَلِمَةَ (النِّيَّةِ) إذَا صُغِّرَتْ خَرَجَتْ لَنَا كَلِمَةُ (نُوَيَّةٌ)، فَإذَا جُمِعَتْ هَذِهِ الصِّيغَةُ جَمْعَ تَكْسِيرٍ فَالبَابُ فِيهَا (نَوَايَا) عَلَى زِنَةِ (فَعَالَى)، أوْ (فَعَائِلَ)...، وَطَوْعَاً لِهَذَا يُوَجَّهُ قَوْلُ كَاتِبٍ : (لَهُ نَوَايَا طَيِّبَةٌ) عَلَى أنَّ لَهُ نِيَّاتٍ مُصَغَّرَةً تَصْغِيرَ تَلْطِيفٍ، وَاسْتِحْسَانٍ، وَإعْظَامٍ، كَمَا يُوَجَّهُ قَوْلُ كَاتِبٍ آخَرُ : (لَهُ نَوَايَا سَيِّئَةٌ) عَلَى أنَّ لَهُ نِيَّاتٍ مُصَغَّرَةً تَصْغِيرَ تَهْوِيلٍ، وَاسْتِنْكَارٍ "(٣١).

وَمِنْ ثَمَّ يُقَرَّرُ : "وَأيَّاً مَا كَانَ الرَّأيُ فِي تَوْجِيهِ اسْتِعْمَالِ الكَاتِبَيْنِ لِكَلِمَةِ (النَّوَايَا) فِي مَعْنَى : (النِّيَّاتِ)، فَلَيْسَ المَقْصُودُ مِنَ التَّخْرِيجِ أنْ يَكُونَ ذَلِكَ غَرَضَاً لِلْكَاتِبِ يَعْنِيهِ فِي الاسْتِعْمَالِ، بَلِ المَقْصُودُ مِنْهُ أنْ يُؤَدِّي بِنَا فِقْهُ الكَلِمَةِ بِسَنَدٍ لُغَوِيٍّ صَحِيحٍ إلَى قَبُولِ اسْتِعْمَالِهَا فِي المَعْنَى العَامِّ لِكَلِمَةِ (النِّيَّاتِ) التِي هِيَ المَسْمُوعَةُ فِي كَلَامِ الفُصَحَاءِ "(٣٢).

وَقَدِ اعْتُرِضَ عَلَى رَأيِ الأُسْتَاذِ محمد شوقي أمين بـ " أنَّ الأشْمُونِيَّ وَغَيْرَهُ مَنَعُوا أنْ تُجْمَعَ (فَعِيلَةٌ) ؛ بِمَعْنَى : (مَفْعُولَةٍ)، وَقَالُوا : شَذَّ (ذَبِيحَةٌ، وَذَبَائِحُ) "(٣٣).

وَقَدْ عَلَّقَ الأُسْتَاذُ محمد شوقي أمين، عَلَى الاعْتِرَاضِ بِقَوْلِهِ : "إنِّي أَرُدُّ هَذَا الاعْتِرَاضَ بِأَنَّ مَا ذَكَرَهُ المُؤَلِّفُونَ فِي النَّحْوِ مِنْ أمْثَالِ (الأشْمُونِيِّ) مَنْقُوضٌ، أوْ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ بِمَا يَذْكُرُ أئِمَّةُ النُّحَاةِ الأَثْبَاتِ فِي بَسْطِهِمْ لِلْقَوَاعِدِ، وَضَبْطِهِمُ الأحْكَامَ.

وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى نَصٍّ صَرِيحٍ لِلرَّضِيِّ يَقُولُ فِيهِ مَا يَأتِي بِحُرُوفِهِ : "وَيَخْتَصُّ ذُو التَّاءِ سَوَاءٌ كَانَ ؛ بِمَعْنَى : المَفْعُولِ، كَالذَّبِيحَةِ،أوْ لَا، كَالكَبِيرَةِ، بـ (فَعَائِلَ) دُونَ المُذَكَّرِ المُجَرَّدِ "(٣٤)، فَهَذَا النَّصُّ قَاطِعٌ فِي صِحَّةِ جَمْعِ (فَعِيلَةٍ) ؛ بِمَعْنَى : (مَفْعُولَةٍ) عَلَى فَعَائِلَ "(٣٥).

ت – وَقَدْ أضَافَ لَهَا تَخْرِيْجَاً ثَالِثَاً، وَهُوَ : "أنْ تَكُونَ جَمْعَاً لِـ (نَاوِيَةٍ) عَلَى وَزْنِ (فَاعِلَةٍ)، مِثْلَ : (زَاوِيَةٍ)، فَتُجْمَعُ عَلَى (نَوَايَا)، كَمَا جُمِعَتِ (الزَّاوِيَةُ) عَلَى (الزَّوَايَا)، وَأقْصِدُ بِكَلِمَةِ (النَّاوِيَةِ) دِلَالَتَهَا المَصْدَرِيَّةَ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي اللُّغَةِ كَلِمَاتٌ عَلَى وَزْنِ

(الفَاعِلَةِ) بِاعْتِبَارِهَا مَصَادِرَ، وَأَشَارَ النُّحَاةُ إِلَيْهَا فِيْمَا سَرَدُوا مِنَ المَصَادِرِ السَّمَاعِيَّةِ" (٣٦).

وَقَدِ اعْتَرَضَ الدُّكْتُورُ أحمد الحوفي عَلَى تَخْرِيجِ (نَوَايَا) جَمْعَاً لـ (نَوِيَّةٍ)، يَقُولُ: "لَكِنِّي أَجِدُ فِي هَذَا الافْتِرَاضِ تَكَلُّفَاً وَبُعْدَاً عَمَّا يُرِيدُهُ المُتَكَلِّمُ الذِي يَنْطِقُ بِكَلِمَةِ نَوَايَا" (٣٧).

وَمِنْ ثَمَّ يَرَى فِيهَا: "إِمَّا أَنَّ كَلِمَةَ (نِيَّةٍ) جُمِعَتْ عَلَى (نَوَايَا)؛ مُرَاعَاةً لِمُرَادِفِهَا، وَهُوَ (طَوِيَّةٌ)، وَجَمْعُهُ: (طَوَايَا)، كَمَا جُمِعَتْ كَلِمَةُ (حُرَّةٍ)، وَجَمْعُهَا القِيَاسِيُّ (حُرَرٌ)، مِثْلَ: غُرْفَةٌ وَغُرَفٌ، وَحُجْرَةٌ وَحُجَرٌ، وَرُكْبَةٌ وَرُكَبٌ، وَسُنَّةٌ وَسُنَنٌ، عَلَى (حَرَائِرَ)؛ مُرَاعَاةً لِمُرَادِفِهَا، وَهُوَ: كَرِيمَةٌ وَكَرَائِمُ، وَعَقِيلَةٌ وَعَقَائِلُ، وَكَمَا جُمِعَتْ كَلِمَةُ (مُرَّةٍ)، وَجَمْعُهَا القِيَاسِيُّ: مُرَرٌ، مِثْلَ: غُرْفَةٌ وَغُرَفٌ، عَلَى (مَرَائِرَ)؛ لأَنَّ مُرَادِفَهَا، وَهُوَ (خَبِيثَةٌ) جَمْعُهُ: خَبَائِثُ.

وَإِمَّا أَنْ نُصَوِّبَ جَمْعَ (نِيَّةٍ) عَلَى (نَوَايَا) خِلَافَاً لِلْقَاعِدَةِ، وَمِثْلُ هَذَا الشُّذُوذِ كَثِيْرٌ فِي الجُمُوعِ، مِثْلُ: ظِلَّةٌ وَظِلَالٌ، وَقُلَّةٌ وَقِلَالٌ، وَرِفْقَةٌ وَرِفَاقٌ، وَالقِيَاسُ: ظُلَلٌ، وَقُلَلٌ، وَرِفَقٌ..." (٣٨).

وَبِالنَّظَرِ إِلَى آرَاءِ ثَلَاثَةِ العُلَمَاءِ الذِينَ نَاقَشُوا جَمْعَ (نِيَّةٍ) عَلَى (نَوَايَا) نَجِدُ أَنَّ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ قَدْ كَانَ القِيَاسُ مُعْتَمَدَهُمَا فِي تَخْرِيجِهَا، أَمَّا الثَّالِثُ، وَهُوَ الأُسْتَاذُ محمد شوقي أمين، فَقَدْ قَدَّمَ ثَلَاثَةَ تَخْرِيجَاتٍ قَائِمَةٍ عَلَى مُحَاوَلَةِ إِيْجَادِ صِيغَةٍ لِمُفْرَدِ (نَوَايَا) يَصِحُّ بِهَا أَنْ يَكُونَ جَمْعَاً قِيَاسِيَّاً لَهَا.

وَمِنْ ثَمَّ يُقَرِّرُ البَحْثُ أَنَّ (الحَمْلَ عَلَى النَّظِيرِ) كَانَ هُوَ الأَصْلَ المُعْتَمَدَ فِي إِجَازَةِ مَا شَاعَ اسْتِخْدَامُهُ مِنْ جَمْعِ (نِيَّةٍ) عَلَى (نَوَايَا).

## ٤ – اعْتِمَادُ التَّضْمِينِ:

لَقَدِ اعْتَمَدَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ فِي إِجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى التَّضْمِينِ مُسَوِّغَاً، وَمِمَّا أَجَازَهُ اعْتِمَادَاً عَلَيْهِ:

– اسْتِعْمَالُ أسْلُوبِ: (عَاشَ الأحْدَاثَ)، وَقَدْ أجَازَ المَجْمَعُ هَذَا الأُسْلُوبَ، وَنَحْوَهُ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، وَوَرَدَ فِي قَرَارِهِ: "يَسْتَعْمِلُ بَعْضُ المُعَاصِرِيْنَ مِنَ الكُتَّابِ تَعْبِيرَ: عَاشَ الأحْدَاثَ، وَقَدْ دَرَسَتِ اللَّجْنَةُ هَذَا التَّعْبِيرَ، وَانْتَهَتْ إلَى أنَّهُ تَعْبِيرٌ صَحِيحٌ، يُقَالُ لِمَنْ عَاصَرَ الأحْدَاثَ، سَوَاءٌ شَارَكَ فِيهَا أمْ لَمْ يُشَارِكْ، وَأنَّ تَوْجِيهَهُ عَلَى تَضْمِينِ (عَاشَ) مَعْنَى: (لَابَسَ)"[٣٩].

وَقَدْ قَدَّمَ الشَّيْخُ عَطِيَّة الصوالحي، مُذَكِّرَةً فِي المَوْضُوعِ انْتَهَى فِيهَا إلَى قَبُولِ التَّعْبِيرِ، وَتَوْجِيهِهِ عَلَى أنَّهُ مِنَ النَّوْعِ الذِي نَابَ فِيهِ المَصْدَرُ عَنْ ظَرْفِ الزَّمَانِ؛ "إذْ إنَّ أصْلَ التَّرْكِيبِ: عَاشَ فُلَانٌ زَمَنَ الأحْدَاثِ، فَحُذِفَ المُضَافُ، وَهُوَ الظَّرْفُ، وَأُنِيبَ المُضَافُ إلَيْهِ، وَهُوَ الأحْدَاثُ، فَانْتَصَبَ انْتِصَابَهُ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا مَا قَالَهُ أكَابِرُ النُّحَاةِ...، قَالَ سِيْبَوَيْهِ: "هَذَا بَابُ مَا يَكُونُ فِيهِ المَصْدَرُ حِيْنَاً؛ لِسَعَةِ الكَلَامِ، وَالاخْتِصَارِ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: مَتَى سِيرَ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: مَقْدَمَ الحَاجِّ، وَخَفُوقَ النَّجْمِ، وَخِلَافَةَ فُلَانٍ، وَصَلَاةَ العَصْرِ، فَإنَّمَا هُوَ زَمَنُ مَقْدَمِ الحَاجِّ، وَحِينَ خَفُوقِ النَّجْمِ، وَلَكِنَّهُ عَلَى سَعَةِ الكَلَامِ، وَالاخْتِصَارِ"[٤٠].

وَقَالَ الرَّضِيُّ: "وَاعْلَمْ أنَّهُ يَكْثُرُ جَعْلُ المَصْدَرِ حِيْنَاً؛ لِسَعَةِ الكَلَامِ، نَحْوَ: انْتَظَرَ فِي جَزْرِ جَزُورَيْنِ، وَسِيرَ عَلَيْهِ تَرْوِيحَتَيْنِ؛ أيْ: مِثْلَ زَمَانِ جَزْرِ جَزُورَيْنِ، وَمِثْلَ زَمَانِ تَرْوِيحَتَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[٤١]؛ أيْ: وَقْتَ إدْبَارِهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى حَذْفِ المُضَافِ، وَعِنْدَ أبِي عَلِيٍّ أنَّ المَصْدَرَ يُقَامُ مَقَامَ الزَّمَانِ مِنْ غَيْرِ إضْمَارِ مُضَافٍ؛ وَذَلِكَ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّجَانُسِ بِكَوْنِهِمَا مَدْلُولَي الفِعْلِ، وَلِذَلِكَ يُنْصَبُ مُبْهَمُهُمَا، بِخِلَافِ المَكَانِ، وَأمَّا قَوْلُهُمْ: (كَانَ ذَلِكَ مَقْدَمَ الحَاجِّ) فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ؛ لأنَّ (مَفْعَلاً) يَكُونُ اسْمَ زَمَانٍ"[٤٢].

وَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّيْخُ عطية الصوالحي، عَلَى قَوْلِ الرَّضِيِّ: "وَأمَّا قَوْلُهُمْ: كَانَ ذَلِكَ مَقْدَمَ الحَاجِّ، فَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ..."، يَقُولُ: "هَذَا اعْتِرَاضٌ مِنْهُ مُوَجَّهٌ إلَى سِيْبَوَيْهِ، وَالمُبَرِّدِ فِي تَمْثِيْلِهِمَا بِـ (مَقْدَمِ الحَاجِّ)، وَالحَقُّ أنَّ (مَفْعَلاً) الصَّالِحَ لِكَوْنِهِ مَصْدَرَاً، وَاسْمَ زَمَانٍ، لَا يُنْصَبُ قِيَاسَاً عَلَى الظَّرْفِيَّةِ إلَّا إذَا كَانَ نَاصِبُهُ مُلَاقِيَاً لَهُ فِي الاشْتِقَاقِ، وَهُنَا

لَيْسَ كَذَلِكَ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ (مَقْدَمَ) فِي المِثَالِ مَصْدَرَاً نَائِبَاً عَنِ الظَّرْفِ، لَا اسْمَ زَمَانٍ، فَالاعْتِرَاضُ غَيْرُ مُتَّجِهٍ..." (٤٣).

وَقَالَ الخُضَرِيُّ :" وَقَدْ يُضَافُ ذَلِكَ المَصْدَرُ إِلَى اسْمِ عَيْنٍ فَيَقُومُ مُقَامَهُ، كَـ : لَا آتِيهِ الفَرْقَدَيْنِ ؛ أَيْ : مُدَّةَ بَقَائِهِمَا، وَلَا أُكَلِّمُهُ القَارِظَيْنِ ؛ أَيْ : مُدَّةَ غِيَابِهِمَا... انْتَهَى" (٤٤).

وَمِنْ ثَمَّ يُقَرِّرُ الشَّيْخُ عطية الصوالحي، أَنَّهُ : "بِهَذِهِ الأَقْوَالِ المُعْتَمَدَةِ جَرَى الأُسْلُوبُ عَلَى القِيَاسِ، وَتَوَثَّقَ" (٤٥).

وَالمُلَاحَظُ أَنَّ مَجْمَعَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ اعْتَمَدَ (التَّضْمِينَ) أَسَاسَاً لِإِجَازَةِ هَذَا التَّعْبِيرِ، وَلَمْ يُجِزْهُ عَلَى أَسَاسِ أَنَّهُ مِنَ النَّوْعِ الذِي نَابَ فِيهِ المَصْدَرُ عَنْ ظَرْفِ الزَّمَانِ.

## ٥ – اعْتِمَادُ التَّضْمِينِ وَالحَمْلِ مَعَاً :

وَمِمَّا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ فِي إِجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ : التَّضْمِينُ وَالحَمْلُ، وَمِمَّا أَجَازَهُ اعْتِمَادَاً عَلَيْهِمَا :

– اسْتِعْمَالُ أُسْلُوبِ (قَبِلَ بِالأَمْرِ)، وَقَدْ أَجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ أُسْلُوبَ : قَبِلَ بالأمْرِ، بِدُخُولِ (البَاءِ) عَلَى مَعْمُولِ الفِعْلِ (قَبِلَ) ؛ نَظَرَاً لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ، وَجَاءَ فِي قَرَارِهِ :" وَمِمَّا شَاعَ فِي كِتَابَاتِ المُعَاصِرِينَ قَوْلُهُمْ: (قَبِلَ بِالأَمْرِ).

وَقَدْ دَرَسَتِ اللَّجْنَةُ هَذَا الأُسْلُوبَ، وَانْتَهَتْ إِلَى إِجَازَتِهِ، إِمَّا عَلَى تَضْمِينِ الفِعْلِ فِعْلاً يُنَاسِبُهُ، فَيُقَالُ : إِنَّ (قَبِلَ) مُضَمَّنٌ مَعْنَى (رَضِيَ)، وَإِمَّا بِحَمْلِ هَذَا الفِعْلِ عَلَى نَظَائِرِهِ التِي تَتَعَدَّى بِنَفْسِهَا، وَبِالبَاءِ مَعَاً، وَهِيَ كَثِيرَةٌ فِيمَا هُوَ مَسْمُوعٌ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ" (٤٦).

وَجَاءَ فِي حَيْثِيَّاتِ القرار :

أ – أَنَّ الأُسْتَاذَ محمد شوقي أمين، تَقَدَّمَ بِمُذَكِّرَةٍ عَرَضَ فِيهَا لِطَائِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ اللُّغَوِيِّينَ فِي عَدَدٍ مِنَ الأَفْعَالِ التِي يَتَعَاقَبُ فِيهَا اسْتِعْمَالُهَا مُتَعَدِّيَةً بِالحَرْفِ، أَوْ مُتَعَدِّيَةً بِنَفْسِهَا، ثُمَّ انْتَهَى إِلَى تَجْوِيزِ مِثْلِ قَوْلِهِمْ : قَبِلَ بِالرَّأْيِ، أَوْ قَبِلَ بالأمْرِ ؛ إِمَّا عَلَى تَضْمِينِ (القَبُولِ) مَعْنَى لَفْظٍ آخَرَ يُرَادِفُهُ مِمَّا سُمِعَ فِيهِ التَّعَدِّي

بِالبَاءِ، كَأَنْ يُقَالَ : إنَّ (قَبِلَ بِهِ) مُضَمَّنٌ مَعْنَى : (رَضِيَ بِهِ، أوْ أخَذَ بِهِ، أو اطْمَأنَّ بِهِ)، وَإمَّا بِحَمْلِ هَذَا الفِعْلِ عَلَى نَظَائِرِهِ التِي تَتَعَدَّى بِنَفْسِهَا وَبِالبَاءِ مَعَاً.

ب – دَرَسَتْ لَجْنَةُ الألْفَاظِ وَالأسَالِيبِ، وَنَاقَشَتْ كُلَّ مَا قِيلَ فِيهِ، وَرَجَعَتْ إلَى مَا كَتَبَهُ أعْضَاءُ المَجْمَعِ الأوَّلُونَ عَنْ (قَضِيَّةِ التَّضْمِينِ)، وَإلَى القَرَارِ الذِي اتَّخَذَهُ المَجْمَعُ بِإجَازَةِ التَّضْمِينِ بِشُرُوطٍ مُحَدَّدَةٍ، ثُمَّ انْتَهَتْ بَعْدَ مُنَاقَشَةِ هَذَا كُلِّهِ إلَى قَرَارِهَا المَذْكُورِ.

وَمِمَّا سَبَقَ يَتَّضِحُ أنَّ قَرَارَ إجَازَةِ دُخُولِ (البَاءِ) عَلَى مَعْمُولِ الفِعْلِ (قَبِلَ) بُنِيَ عَلَى التَّضْمِينِ، أوْ الحَمْلِ عَلَى النَّظِيرِ.

## ٦ – اعْتِمَادُ التَّقْدِيرِ :

التَّقْدِيرُ مِمَّا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ فِي إجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ، وَمِمَّا أجَازَهُ اعْتِمَادَاً عَلَيْهِ :

– أُسْلُوبُ (حَضَرَ حَوَالِيْ عِشْرِينَ طَالِبَاً)، وَأُسْلُوبُ : (فِي القَاعَةِ حَوَالِيْ أرْبَعِينَ عُضْوَاً)، وَقَالَ فِي نَصِّ قَرَارِهِ :" يُخَطِّئُ بَعْضُ النُّقَّادِ اسْتِعْمَالَ لَفْظِ (حَوَالِيْ) فِي هَذِهِ المَوَاطِنِ وَأمْثَالِهَا، وَيَقُولُونَ : إنَّ الصَّوَابَ فِيهَا كَلِمَةُ (زُهَاءَ)، أوْ كَلِمَةُ (نَحْوَ) ؛ لأنَّ (حَوَالِيْ) ظَرْفٌ غَيْرُ مُتَصَرِّفٍ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ إلَّا فِي المَكَانِ.

وَقَدْ دَرَسَتِ اللَّجْنَةُ هَذَا، وَنَاقَشَتْهُ مِنْ مُخْتَلِفِ جِهَاتِهِ، ثمَّ انْتَهَتْ إلَى :

أوَّلاً : إجَازَةُ اسْتِعْمَالِ (حَوَالِيْ) فِي غَيْرِ المَكَانِ.

ثَانِيَاً : إجَازَةُ الأمْثِلَةِ المُتَقَدِّمَةِ، وَنَحْوِهَا.

وَالتَّوْجِيهُ فِي المَوْضِعَيْنِ يُرْجَعُ إلَيْهِ فِي مُذَكِّرَاتِ اللَّجْنَةِ[٤٧]، وَهَذِهِ التَّوْجِيهَاتُ بِاخْتِصَارٍ، هِيَ :

أ – تَقَدَّمَ الشَّيْخُ عطية الصوالحي، بِمُذَكِّرَةٍ انْتَهَى فِيهَا إلَى تَصْحِيحِ الأُسْلُوبِ عَلَى أنَّ الفَاعِلَ فِيهِ ضَمِيرٌ لِلْعَدَدِ الذِي يَسْتَلْزِمُهُ لَفْظُ (العِشْرِينَ)، وَأنَّ كَلِمَةَ (حَوَالِيْ) فِي مَوْضِعِ النَّصْبِ عَلَى الحَالِ، وَالمَعْنَى : حَضَرَ هُوَ ؛ أيْ : العَدَدُ كَائِنَاً حَوَالِيْ

عِشْرِينَ، وَمِثْلُ هَذَا يُقَالُ : إِذَا كَانَتْ (حَوَالِيْ) فِي مَوْضِعِ المُبْتَدَأ، مِثْلُ : فِي القَاعَةِ حَوَالِيْ أَرْبَعِينَ ؛ فَالتَّقْدِيرُ هُنَا : فِي القَاعَةِ (عَدَدٌ) حَوَالِي أَرْبَعِينَ.

ب – تَقَدَّمَ الأُسْتَاذُ محمد شوقي أمين، بِمُذَكِّرَةٍ بَسَطَ فِيهَا القَوْلَ عَنْ آرَاءِ النُّحَاةِ فِي حَذْفِ الفَاعِلِ، ثُمَّ انْتَهَى إِلَى تَصْحِيحِ التَّعْبِيرِ عَلَى أَنَّ الفَاعِلَ مَحْذُوفٌ اسْتِنَادَاً إِلَى رَأْيِ فَرِيقٍ كَبِيرٍ مِنَ النُّحَاةِ عَلَى رَأْسِهِمْ الكِسَائِيُّ، أَوْ عَلَى أَنَّ (حَوَالِيْ) نَفْسَهَا فِي مَحَلِّ رَفْعٍ عَلَى الفَاعِلِيَّةِ قِيَاسَاً عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ فِي نَائِبِ الفَاعِلِ مِنْ : أَنَّ الظَّرْفَ يَكُونُ فِي مَحَلِّ رَفْعِ نَائِبِ فَاعِلٍ، وَيَكُونُ، أَيْضَاً، خَبَرَاً.

وَقَدْ رَدَّ الشَّيْخُ عطية الصوالحي، القَوْلَ بِـ (حَذْفِ الفَاعِلِ) فِي بَحْثٍ قَدَّمَهُ إِلَى مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِعُنْوَانِ : (إِظْهَارُ الحَقِّ فِيمَا نُسِبَ إِلَى الكِسَائِيِّ مِنْ إِجَازَتِهِ حَذْفَ الفَاعِلِ)، يَقُولُ : "نَقَلَ بَعْضُ النُّحَاةِ المُتَأَخِّرِيْنَ عَنِ الكِسَائِيِّ أَنَّهُ فِي بَابِ (الفَاعِلِ) يُجَوِّزُ حَذْفَ الفَاعِلِ، وَفِي بَابِ (التَّنَازُعِ) يُوْجِبُ حَذْفَ الفَاعِلِ مِنَ العَامِلِ الأَوَّلِ إِذَا أُعْمِلَ الثَّانِي، وَاشْتَهَرَ هَذَا النَّقْلُ عَنْهُ إِلَى اليَوْمِ، وَإِنِّي لَفِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ "[٤٨]، وَقَدِ اسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِعِدَّةِ أَدِلَّةٍ نُورِدُهَا لأَهَمِّيَّةِ هَذِهِ القَضِيَّةِ :

اخْتَلَفَ النَّاقِلُونَ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ نَقَلَ عَنْهُ هَذَا الحُكْمَ فِي بَابَي (الفَاعِلِ، وَالتَّنَازُعِ). وَمِنْهُمْ مَنْ نَقَلَهُ عَنْهُ فِي بَابِ (التَّنَازُعِ) فَقَطْ :

فَمِنَ الفَرِيقِ الأَوَّلِ : ابْنُ هِشَامٍ الأَنْصَارِيُّ، وَقَدْ نَقَلَهُ عَنْهُ فِي بَابَيِّ (الفَاعِلِ، وَالتَّنَازُعِ)[٤٩]، وَالأَشْمُونِي فِي بَابَي (الفَاعِلِ، وَالتَّنَازُعِ)[٥٠]، وَالشَّيْخُ خَالِدٌ الأَزْهَرِيُّ فِي بَابَي (الفَاعِلِ، وَالتَّنَازُعِ)[٥١].

وَمِنَ الفَرِيقِ الآخَرِ ؛ أَيْ : وَمِنَ الذِينَ نَقَلُوا حَذْفَ الفَاعِلِ عَنِ الكِسَائِيِّ فِي بَابٍ وَاحِدٍ : ابْنُ يَعِيشَ فِي بَابِ (التَّنَازُعِ)[٥٢]، وَأَبُو حَيَّانَ الأَنْدَلُسِيُّ[٥٣]، وَالفِيْشِي فِيمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عُبَادَةُ العَدَوِيُّ[٥٤].

وَقَدْ عَلَّقَ الشَّيْخُ عطية الصوالحي، عَلَى هَذِهِ النُّقُولِ بِقَوْلِهِ : "عَلِمْنَا مِنَ الأَقْوَالِ السَّابِقَةِ : أَنَّ الفَرِيقَيْنِ مُتَّفِقَانِ عَلَى القَوْلِ بِأَنَّ الكِسَائِيَّ يُوْجِبُ حَذْفَ الفَاعِلِ فِي بَابِ (التَّنَازُعِ)، فَإِذَا أَبْطَلَ عُلَمَاءُ آخَرُونَ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ فِي هَذَا البَابِ، أَفَلَا يَنْسَحِبُ إِبْطَالُهُمْ

هُنَا عَلَى مَا نُسِبَ إِلَيْهِ فِي بَابِ الفَاعِلِ ؟ الجَوَابُ : بَلى ؛ لأنَّ مَوْضُوعَ النِّزَاعِ وَاحِدٌ، هُوَ حَذْفُ الفَاعِلِ "(٥٥).

ثُمَّ يَنْقُلُ نُصُوصاً لِمَنْ أَنْصَفَ الكِسَائِيَّ مِنَ العُلَمَاءِ، قَائِلاً : "وَإِلَيْكَ مَا قَالَهُ العُلَمَاءُ : قَالَ أَبُو حَيَّانَ : "وَقَدْ نُقِلَ عَنِ الكِسَائِيِّ أَنَّهُ مُضْمَرٌ مُسْتَتِرٌ فِي الفِعْلِ مُفْرَدٌ فِي الأحْوَالِ كُلِّهَا، وَأَنَّ مَا نَقَلَهُ البَصْرِيُّونَ عَنِ الكِسَائِيِّ مِنْ أَنَّهُ يَحْذِفُ الفَاعِلَ لَا يَصِحُّ "(٥٦).

وَقَالَ الصَّبَّانُ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى الأشْمُونِيِّ : "... وَفِي الإيْضَاحِ مَا حُكِيَ عَنِ الكِسَائِيِّ مِنْ أَنَّهُ يَحْذِفُ الفَاعِلَ فِي نَحْوِ : (ضَرَبَنِي، وَضَرَبْتُ الزَّيْدَيْنَ) بَاطِلٌ، بَلْ هُوَ عِنْدَهُ مُسْتَتِرٌ فِي الفِعْلِ مُفْرَدٌ فِي الأحْوَالِ كُلِّهَا، قَالَهُ يَس : انْتَهَى "(٥٧).

وَمِنْ ثَمَّ يُقَرِّرُ الشَّيْخُ عطية الصوالحي، أنَّ "أقْوَالَ أُولَئِكَ الأعْلَام أنْصَفَتِ الكِسَائِيَّ، وَبَرَّأتْهُ مِنْ تُهْمَةِ حَذْفِ الفَاعِلِ التِي أَلْصَقَهَا بِهِ البَصْرِيُّونَ، وَظَلَّتْ قُرُوناً طَوِيْلَةً يَنْقُلُهَا سَلَفُهُمْ عَنْ خَلَفِهِمْ "(٥٨).

وَعَلَى هَذَا، فَالبَحْثُ يَأخُذُ بِرَأيِ الشَّيْخِ عطية الصوالحي، وَهُوَ : أنَّ هَذَا التَّعْبيرَ جَائِزٌ، وَالفَاعِلَ مُسْتَتِرٌ، وَالمَعْنَى هُوَ : حَضَر هُوَ ؛ أيْ : العَدَدُ كَائِنَاً حَوَالِيْ عِشْرِينَ، وَمِثْلُ هَذَا يُقَالُ إذَا كَانَتْ (حَوَالِيْ) فِي مَوْضِعِ مُبْتَدَأ، مِثْلُ : فِي القَاعَةِ حَوَالِيْ أرْبَعِينَ ؛ فَالتَّقْدِيرُ هُنَا : فِي القَاعَةِ (عَدَدٌ) حَوَالِيْ أرْبَعِينَ.

## ٧ – اعْتِمَادُ القَلْبِ المَكَانِيِّ :

مِمَّا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ فِي إجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ : القَلْبُ المَكَانِيُّ، وَمِمَّا أجَازَهُ اعْتِمَاداً عَلَيْهِ :

– اسْتِعْمَالُ (التَّصَنُّتِ) ؛ فَقَدْ أجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ اسْتِعْمَالَ (التَّصَنُّتِ) ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ وَشُيُوعِهِ، وَكَانَ المُعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي إجَازَتِهِ هُوَ (القَلْبُ المَكَانِيُّ)، وَقَدْ وَرَدَ فِي قَرَارِ المَجْمَعِ أنَّهُ :" يَتَوَارَدُ فِي الصُّحُفِ عَلَى أقْلَامِ الكَاتِبِينَ كَلِمَةُ (التَّصَنُّتِ)، وَقَدْ دَرَسَتِ اللَّجْنَةُ ذَلِكَ، وَانْتَهَتْ إلَى أنَّهُ لَا تَخْرِيجَ لِهَذَا التَّعْبِيرِ مَعْ شُيُوعِ اسْتِعْمَالِهِ إلَّا مِنْ

بَابِ (القَلْبِ المَكَانِيِّ)، وَهُوَ نَادِرٌ فِي العَرَبِيَّةِ، وَالفَصِيحُ أنْ يُقَالَ : (التَّنَصُّتُ)، عَلَى أنَّ هُنَاكَ مُرَادِفاً لِهَذَا التَّعْبِيرِ هُوَ : (التَّسَمُّعُ) ؛ إذْ لُوْحِظَ اسْتِثْقَالُ التَّنَصُّتِ "[٥٩].

## ٨ – اعْتِمَادُ المَجَازِ :

المَجَازُ، أوْ إقَامَةُ عَلَاقَاتٍ دِلَالِيَّةٍ جَدِيْدَةٍ مِمَّا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ فِي إجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ، وَمِمَّا أجَازَهُ اعْتِمَاداً عَلَيْهِ :

– اسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ (العَمَالَةِ) ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى العَمَلِ ؛ فَقَدْ أجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ اسْتِخْدَامَ كَلِمَةِ (العَمَالَةِ) ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى العَمَلِ وَالعُمَّالِ، وَكَانَ مُعْتَمَدَهُ فِي هَذَا : المَجَازُ، يَقُولُ قَرَارُ المَجْمَعِ : "يَرَى المَجْمَعُ أنَّ الكُتَّابَ يَسْتَعْمِلُونَ كَلِمَةَ (العَمَالَةِ) ؛ لِلدِّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى العَمَلِ وَالعُمَّالِ، وَالمَنْصُوصُ عَلَيْهِ فِي المُعْجَمَاتِ أنَّ (العَمَالَة)، مُثَلَّثَةَ العَيْنِ، هِيَ : أجْرُ العَمَلِ، وَيَتَسَنَّى تَصْوِيبُ كَلِمَةِ (العَمَالَةِ) فِي الاسْتِعْمَالِ المُتَدَاوَلِ، بِـ " أنَّهَا مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ، وَلَهَا نَظِيرٌ فِي اسْتِعْمَالِ كَلِمَةِ (الوَظِيْفَةِ) التِي تَدُلُّ لُغَةً عَلَى الرِّزْقِ، أوِ الأجْرِ ؛ إذْ جَرَى اسْتِعْمَالُهَا ؛ بِمَعْنَى : العَمَلِ الذِي يُؤْجَرُ عَلَيْهِ "[٦٠].

وَجَاءَ فِي حَيْثِيَّاتِ هَذَا القَرَارِ أنَّهُ : "مِنَ المَيْسُورِ أنْ نُصَوِّبَ كَلِمَةَ (عَمَالَةٍ) فِي الاسْتِعْمَالِ المُتَدَاوَلِ، فَنَقُولُ : إنَّهَا مَجَازٌ عَلَاقَتُهُ السَّبَبِيَّةُ ؛ لأنَّ العَمَلَ هُوَ السَّبَبُ فِي الأجْرِ، وَالأصْلُ فِي اسْتِحْقَاقِهِ، وَلَا أجْرَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، أوْ عَمَالَةٍ، لِهَذَا يَصِحُّ قَوْلُهُمْ : العَمَالَةُ الزَّائِدَةُ، وَالعَمَالَةُ النَّاقِصَةُ، وَالعَمَالَةُ الزِّرَاعِيَّةُ، وَالعَمَالَةُ الصِّنَاعِيَّةُ "[٦١].

## ٩ – اعْتِمَادُ اتِّسَاعِ الدِّلَالَةِ :

وَمِمَّا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ فِي إجَازَةِ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ : اتِّسَاعُ الدِّلَالَةِ، وَمِمَّا أجَازَهُ اعْتِمَاداً عَلَيْهِ :

– اسْتِعْمَالُ (النَّسَبِ) فِي مَعْنَى (المُصَاهَرَةِ) ؛ وَقَدْ أجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ اسْتِعْمَالَ كَلِمَةِ (النَّسَبِ) فِي مَعْنَى المُصَاهَرَةِ، وَكَانَ مُعْتَمَدُهُ فِي ذَلِكَ عَلَى الاتِّسَاعِ، يَقُولُ قَرَارُ المَجْمَعِ : "يَشِيعُ فِي اللُّغَةِ المُعَاصِرَةِ اسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ (النَّسَبِ) مُرَاداً بِه (المُصَاهَرَةُ)، فَيُقَالُ : بَيْنَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ نَسَبٌ، وَفُلَانٌ نَسِيبُ فُلَانٍ ؛ أيْ : صِهْرُهُ، وَيُؤْخَذُ

عَلَى هَذَا الاسْتِعْمَالِ أنَّ اللَّفْظَيْنِ مُخْتَلِفَانِ في الدِّلَالَةِ ؛ فَالنَّسَبُ عِنْدَ جُمْهُورِ أهْلِ اللُّغَةِ هُوَ : القَرَابَةُ ؛ أيْ : قَرَابَةُ الدَّمِ، وَالقُرْبَى في الرَّحِمِ، وَالمُصَاهَرَةُ هِيَ : القَرَابَةُ الزَّوْجِيَّةُ، وَالصِّهْرُ : أهْلُ بَيْتِ المَرْأةِ، وَقَرَابَاتِ النِّسَاءِ.

وَلَكِن وَرَدَ عِنْدَ الفَيُّومِيِّ، وَالشِّيرَازِيِّ مَا يُفِيدُ إطْلَاقَ النَّسَبِ عَلَى مُطْلَقِ القَرَابَةِ، يَقُولُ الفَيُّومِيُّ :" اسْتُعْمِلَ النَّسَبُ، وَهُوَ المَصْدَرُ، في مُطْلَقِ الوُصْلَةِ بِالقَرَابَةِ، فَيُقَالُ : بَيْنَهُمَا نَسَبٌ ؛ أيْ : قَرَابَةٌ، وَمِنْ هُنَا اِسْتُعِيرَتِ النِّسْبَةُ في المَقَادِيرِ ؛ لأنَّهَا وَصْلَةٌ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ "(٦٢).

وَبِنَاءً عَلَى مَا جَاءَ في المِصْبَاحِ المُنِيرِ، وَالمِعْيَارِ، مِنْ إطْلَاقِ (النَّسَبِ) عَلَى القَرَابَةِ عَامَّةً تَرَى اللَّجْنَةُ : "أنَّ الاسْتِعْمَالَ المُعَاصِرَ لِلَفْظَةِ (النَّسَبِ) في مَعْنَى المُصَاهَرَةِ، وَ (النَّسِيبِ) في مَعْنَى : الصِّهْرِ، جَائِزٌ مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ، وَالتَّعْمِيمِ "(٦٣).

إذَنْ مُعْتَمَدُ إجَازَةِ هَذَا الإطْلَاقِ لِكَلِمَةِ (النَّسَبِ) هُوَ : اتِّسَاعُ الدِّلَالَةِ ؛ حَيْثُ اتَّسَعَتْ دِلَالَةُ النَّسَبِ، فَشَمَلَتْ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ كَلِمَةُ (المُصَاهَرَةِ)، وَالذِي يَبْدُو أنَّ السَّمَاحَ بِاتِّسَاعِ المَعْنَى إلَى هَذَا الحَدِّ الذِي تَعْدُو فِيهِ كَلِمَةٌ في دِلَالَتِهَا عَلَى دِلَالَةٍ أُخْرَى غَيْرُ جَائِزٍ ؛ لأنَّهُ يُؤَدِّي – حَتْمَاً – إلَى اضْطِرَابِ الحُدُودِ الفَاصِلَةِ بَيْنَ الألْفَاظِ، بَلْ قَدْ يُؤَدِّي إلَى لَبْسٍ في فَهْمِ الدِّلَالَةِ عَامَّةً.

وَمَا الدَّاعِي إلَى مُجَاوَزَةِ حُدُودِ دِلَالَةِ اللَّفْظِ إلَى هَذَا الحَدِّ ؟ أوَ كُلَّمَا شَاعَ اسْتِخْدَامُ اللَّفْظِ في دِلَالَةٍ أُجِيزَتْ ؟

إنَّ مَا وَرَدَ في المَعَاجِمِ مِنْ نُصُوصٍ لَا يُبِيحُ هَذَا الذِي ذَهَبَ إلَيْهِ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَإنْ هِيَ إلَّا نُصُوصٌ عَامَّةٌ لَا يُفْهَمُ مِنْهَا مَا أُجِيزَ اعْتِمَاداً عَلَيْهَا ؛ فَنَصُّ الفَيُّومِيِّ لَا يَسْمَحُ بِأنْ يُطْلَقَ عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ (المُصَاهَرَةِ)، وَلَكِنْ يَدُلُّ عَلَى القَرَابَةِ عَامَّةً عَلَى اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهَا المَعْرُوفَةِ. وَكَذَلِكَ نَصُّ الشِّيرَازِيِّ المَذْكُورُ لَا يَسْمَحُ بِهَذَا الإطْلَاقِ، أيْضَاً.

وَلَعَلَّ فِي تَخْصِيصِ القُرْآنِ الكَرِيمِ كَلَامَاً بِلَفْظِهِ مُؤَشِّرَاً عَلَى هَذَا الفَصْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾(٦٤).

ثمَّ إنَّ مَصْدَرَ شُيُوعِ هَذَا الاسْتِعْمَالِ لَيْسَ فِي كِتَابَاتِ الكُتَّابِ المُبَرِّزِينَ المَشْهُودِ لَهُمْ بِالإجَادَةِ، وَإنَّمَا فِي كِتَابَاتِ بَعْضِ ضِعَافِ الكُتَّابِ، أوِ الأحَادِيثِ التِي تَدُورُ بَيْنَ عَامَّةِ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ ذَوِي الثَّقَافَاتِ وَالتَّأدُّبِ، وَيَعْتَقِدُ البَاحِثُ أنَّهُ لَوْ أُجِيزَ كُلُّ مَا يَشِيعُ اسْتِعْمَالُهُ، أوْ يَكْثُرُ بَيْنَ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ مِنْ مُسْتَخْدِمِي اللُّغَةِ لَاضْطَرَبَتْ قَوَاعِدُ اللُّغَةِ، وَالحُدُودُ الفَاصِلَةُ بَيْنَ وحْدَاتِهَا.

وَلَعَلَّ النَّظَرَ فِي بَحْثِ مَنْ ذَهَبَ يُجِيزُهَا، وَفِي طَرِيقَةِ عَرْضِ رَأيِهِ مَا يُؤيِّدُ مَا ذَهَبَ البَحْثُ إلَيهِ ؛ فَقَدْ قَدَّمَ رَأيَ مَنْ لَا يُجِيزُ هَذَا الاسْتِعْمَالَ الذِي كَثُرَ، وَشَاعَ، يَقُولُ: "هُنَالِكَ وُجْهَتَا نَظَرٍ: الأُوْلَى: أنَّ فِي الفَصْلِ بَيْنَ النَّسَبِ وَالعَهْدِ تَحْدِيْدَاً لِلدِّلَالَةِ، وَتَمْييزَاً بَيْنَ نَوْعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنَ الصِّلَاتِ، وَلِهَذَا المُدْرَكِ وَزْنُهُ..."(٦٥).

فَقَدْ جَعَلَها الوُجْهَةَ الأُوْلَى، وَلَيْسَتِ الثَّانِيَةَ، وَقَدْ بَيَّنَ أنَّ فِي الفَصْلِ تَحْدِيدَاً، وَتَمْيِيزَاً، ثمَّ خَتَمَ بِأَنْ أقَرَّ أنَّ الفَصْلَ مِنَ المُدْرَكَاتِ ذَاتِ الوَزْنِ.

## هوامش المبحث الرابع

١ – أمين، محمد شوقي وزميله، **مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً (١٩٣٤ – ١٩٨٤م)**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٠ – ١١.

٢ – الجوهري، **الصحاح**، مادة (زمل)، ج ٤، ص ٥٣٥، وابن منظور، **لسان العرب**، مادة (زمل)، ج ٣، ص ١٨٦٤.

٣ – الصّمد، واضح، **شرح ديوان الراعي النميري**، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٩٨، والقرشي، محمد بن أبي الخطّاب، **جمهرة أشعار العرب**، تحقيق : محمد علي الهاشمي، ط ٢، دار القلم، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٩٢٨.

٤ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ١٩٧٧م، ج ٢، ص ١٧٩.

٥ – الفيروزآبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، إعداد وتقديم : محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، مادة (غضب)، ج ١، ص ٢٠٨.

٦ – المرجع السابق، مادة (كند)، ج ١، ص ٤٥٦.

٧ – المرجع السابق، مادة (قطب)، ج ١، ص ٢١٥.

٨ – المرجع السابق، مادة (كتـــم)، ج ٢، ص ١٥١٧.

٩ – المرجع السابق، مادة (رقب)، ج ١، ص ١٧٠.

١٠ – المرجع السابق، مادة (عجل)، ج ٢، ص ١٣٦١.

١١ – ابن جني، **الخصائص**، ج ١، ص ٣٥٧.

١٢ – أمين، محمد شوقي، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ١٧٠.

١٣ – من الآية ٢٨ من **سورة يونس**.

١٤ – رضي الدين، **شرح شافية ابن الحاجب**، ج ١، ص ٩٣ – ٩٤، وأمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ١٧١.

١٥ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ١٧٤.

١٦ – الجوهري، **الصحاح**، مادة (صفا)، ج ٦، ص ٣٨٣.

١٧ – من الآية ٧٦ من **سورة القصص**.

١٨ – الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد، **فقه اللغة وسرّ العربية**، تحقيق: إملين نسيب، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٦٥.

١٩ – الفيومي، **المصباح المنير**، مادة (عرض)، ص ٤٠٣، وأمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ١٧٤ – ١٧٥.

٢٠ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ١٧٢.

٢١ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٢٦.

٢٢ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٣، ص ٣٤٠ – ٣٤١.

٢٣ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٥، ص ١٥١.

٢٤ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ٢٢٧.

٢٥ – المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٢.

٢٦ – الزمخشري، جار الله، محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، مادة (وقع)، ج ٢، ص ٣٥٠.

٢٧ – المرجع السابق نفسه.

٢٨ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ١.

٢٩ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٢.

٣٠ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٤.

٣١ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٥.

٣٢ – المرجع السابق نفسه.

٣٣ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٦.

٣٤ – رضي الدين، **شرح شافية ابن الحاجب**، ج ٢، ص ١٥٠، وأمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ٦.

٣٥ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ٦.

٣٦ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٦.

٣٧ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٨.

٣٨ – المرجع السابق نفسه.

٣٩ – المرجع السابق، ج ١، ص ٨٥.

٤٠ – سيبويه، **الكتاب**، ج ١، ص ١١٤، وأمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ١، ص ٨٦.

٤١ – من الآية ٤٩ من **سورة الطور**.

٤٢ – رضي الدين، **شرح الرضي على الكافية**، ج ١، ص ١٧٣، وأمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج١، ص ٨٦ – ٨٧.

٤٣ – المبرد، **المقتضب**، ج ١، ص ١٧٥، وأمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ١، ص ٨٧.

٤٤ – الخضري، محمد بن مصطفى بن حسن، **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، شرحها وعلّق عليها : تركي فرحات مصطفى، ط ٢، دار الكتب، بيروت، ٢٠٠٥م، ج ٢، ص ٤٥، وأمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ١، ص ٨٧.

٤٥ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ١، ص ٨٧.

٤٦ – المرجع السابق، ج ١، ص ٨٧.

٤٧ – المرجع السابق، ج ١، ص ١٠١ – ١٠٢.

٤٨ – المرجع السابق، ج ١، ص ١١٣.

٤٩ – ابن هشام، جمال الدين، يوسف بن أحمد، **شرح شذور الذهب**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج ١، ص ١٥٦، ١٦٧.

٥٠ – الأشموني، **شرح الأشموني**، ج ٢، ص ٤٣، ٩٧.

٥١ – الأزهري، زين الدين، خالد بن عبد الله، **التصريح بمضمون التوضيح**، دراسة وتحقيق : عبد الفتاح بحيري إبراهيم، ط ١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢٥٢، ٤٤٠.

٥٢ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ٦، ص ٧٩.

٥٣ – أبو حيان، أثير الدين، محمد بن يوسف، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق : مصطفى أحمد النمّاس، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٨٩.

٥٤ – العدوي، عبادة بن أحمد بن مكرم الصعيدي، **حاشية العدوي على شذور الذهب**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٩٤، وأمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ١، ص ١١٥.

٥٥ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ١، ص ١١٥.

٥٦ – أبو حيان، **ارتشاف الضرب**، ج ٢، ص ٦٣.

٥٧ – الصبان، أبو العرفان، محمد بن علي، **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ت، ج ٢، ص ٤٥، وياسين الحمصي، زين الدين العليمي، **حاشية يس على شرح التصريح**، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج ٢، ص ٣٤.

٥٨ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ١، ص ١١٦.

٥٩ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٤١.

٦٠ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٧١.

٦١ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٧٢.

٦٢ – الفيومي، **المصباح المنير**، مادة (نسب)، ص ٦٠٢.

٦٣ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ٢٤٩.

٦٤ – من الآية ٥٤ من **سورة الفرقان**.

٦٥ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ٢٥١.

# المَبْحَثُ الخَامِسُ
# كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَالأُصُولُ اللُّغَوِيَّةُ

إنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ قَدِ ارْتَبَطَتِ ارْتِبَاطَاً وَثِيْقَاً بِعَدَدٍ غَيْرِ قَلِيْلٍ مِنَ الأُصُولِ اللُّغَوِيَّةِ، وَيُحَاوِلُ البَحْثُ حَصْرَهَا، وَتَوْضِيحَ جِهَةِ الارْتِبَاطِ بَيْنَهَا، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

## أوَّلاً – كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَالتَّوَهُّمُ:

سَيُنَاقِشُ البَحْثُ مَوْقِفَ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ القُدَامَى وَالمُحْدَثِينَ مِنَ التَّوَهُّمِ مُبَيِّنَاً الرَّبْطَ الوَثِيقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

### ١ – اعْتِدَادُ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ بِالتَّوَهُّمِ قَدِيْمَاً:

إنَّ مَوْقِفَ النُّحَاةِ مِنَ التَّوَهُّمِ لَيْسَ وَاحِدَاً؛ فَمِنْهُمْ مَنِ اعْتَدَّهُ وَسِيْلَةَ تَأْوِيلٍ يَرُدُّ بِهَا مَا شَذَّ مِنْ نُصُوصِ اللُّغَةِ إلَى القَاعِدَةِ المُطَّرِدَةِ، وَهَذَا الفَرِيقُ بَعْضُهُمْ يَعُدُّهُ قِيَاسِيَّاً، وَالآخَرُونَ يَقْصِرُونَهُ عَلَى السَّمَاعِ. وَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَهُ إلَى العَرَبِ أنْفُسِهِمْ؛ أيْ: لَمْ يَعُدُّوهُ وَسِيلَةَ تَأْوِيلٍ تَسُدُّ خَرْقَ القَاعِدَةِ التِي وَضَعَهَا النُّحَاةُ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَعْتَدّ بِهِ أصْلاً.

وَالذِي يَهُمُّ البَحْثَ هُنَا رَأيُ الفَرِيقِ الأوَّلِ الذِي اعْتَدَّهُ وَسِيْلَةَ تَأْوِيلٍ؛ فَقَدْ خَرَّجَ بِهِ الخَلِيْلُ بْنُ أحْمَدَ قَوْلَ زُهَيْرٍ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

[١٣]

**بَدَا لِيَ أنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى  وَلَا سَابِقٍ شَيْئَاً إذَا كَانَ جَائِيَا**[١]

لأنَّ الأوَّلَ (مُدْرِكَ) يَدْخُلُهُ (البَاءُ)، فَجَاءُوا بِالثَّانِي (سَابِقٍ)، وَكَأنَّهُمْ قَدْ أثْبَتُوا في الأوَّلِ البَاءَ".

وَقَدِ اعْتَدَّهُ سِيبَوَيْهِ، فَقَالَ: " وَاعْلَمْ أنَّ نَاسَاً مِنَ العَرَبِ يَغْلَطُونَ، فَيَقُولُونَ: إنَّهُمْ أجْمَعُونَ ذَاهِبُونَ، وَإنَّكَ وَزَيْدٌ ذَاهِبَانِ؛ وَذَلِكَ لأنَّ مَعْنَاهُ: الابْتِدَاءُ، فَيَرَى أنَّهُ قَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ: وَلَا سَابِقٍ شَيْئَاً إذَا كَانَ جَائِيَا"[٢].

وَبِهِ قَالَ الكِسَائِيُّ، حَيْثُ يَرَى أنَّ (أشْيَاءَ) جَمْعُ : شَيْءٍ، مِثْلُ : (بَيْتٍ) التِي جَمْعُهَا : أبْيَاتٌ، وَيَرَى أنَّهَا مَمْنُوعَةٌ مِنَ الصَّرْفِ ؛ لِتَوَهُّمِ العَرَبِ – عَلَى حَدِّ زَعْمِهِ – مُشَابَهَتَهَا بـ (حَمْرَاءَ) المَمْنُوعَةِ مِنَ الصَّرْفِ "(٣).

وَبِهِ قَالَ الفَرَّاءُ : " ... وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُكَ : مَا أنْتَ بِمُحْسِنٍ إلَى مَنْ أحْسَنَ إلَيْكَ وَلَا مُجْمِلاً، تَنْصِبُ (المُجْمِلَ)، وَتَخْفِضُهُ ؛ الخَفْضُ عَلَى إتْبَاعِهِ (المُحْسِنَ)، وَالنَّصْبُ عَلَى أنْ تَتَوَهَّمَ أنَّكَ قُلْتَ : مَا أنْتَ مُحْسِنَاً "(٤).

وَعَلَى أسَاسٍ مِنْهُ خَرَّجَ الفَارِسِيُّ جَزْمَ (يَصْبِرْ) في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٥)، يَقُولُ : إنَّمَا جُزِمَ (يَصْبِرْ) عَلَى تَوَهُّمِ مَعْنَى مَنْ "(٦).

وَاعْتَدَّ بِهِ ابْنُ جِنِّي، وَلَكِنْ آثَرَ أنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ (الحَمْلُ عَلَى المَعْنَى)، وَخَصَّصَ لَهُ بَابَاً في (الخَصَائِصِ)(٧).

وَيَرَى ابْنُ الأنْبَارِيِّ أنَّهُ أكْثَرُ مِنْ أنْ يُحْصَى في كَلَامِهِمْ(٨).

وَقَدْ اعْتَدَّهُ ابْنُ يَعِيشَ وَسِيلَةَ تَأْوِيلٍ لِمَا خَرَجَ عَنِ القَاعِدَةِ المُطَّرِدَةِ، وَلَعَلَّ هَذَا يَتَّضِحُ مِنْ تَعْلِيقِهِ عَلَى بيت الفَرَزْدَقِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

[١٤]

**غَدَاةَ أَحَلَّتْ لابْنِ أَصْرَمَ طَعْنَةٌ حُصَيْنٍ عَبِيطَاتِ السَّدَائِفِ وَالخَمْرُ(٩)**

حَيْثُ يَرَى أنَّ الفَرَزْدَقَ رَفَعَ (الخَمْرَ) عَلَى تَوَهُّمِ رَفْعِ (العَبِيطَاتِ) ؛ لأنَّهُ إذَا أَحَلَّتْهَا الطَّعْنَةُ فَقَدْ حَلَّتْ هِيَ(١٠).

وَاعْتَدَّهُ أبُو حَيَّانَ وَسِيْلَةَ تَأوِيلٍ كَذَلِكَ، يَقُولُ في تَخْرِيجِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾(١١) : "وَإذَا صَحَّتِ القِرَاءَةُ فَتَخْرِيجُهَا عِنْدِي عَلَى وُجُوهٍ، أحَدُهَا : أنْ يَكُونَ إفْرَادُ الضَّمِيرِ حَمْلاً عَلَى التَّوَهُّمِ المَعْهُودِ مِثْلُهُ في لِسَانِ العَرَبِ، كَأنَّهُ نَطَقَ بـ (مَنْ) الذِي هُوَ لَفْظٌ وَمَعْنَىً، كَمَا جَزَمَ بِالذِي مَنْ تَوَهَّمَ أنَّهُ نَطَقَ بِـ (مَنْ) الشَّرْطِيَّةِ..."(١٢).

أمَّا ابْنُ هِشَامٍ فَقَدْ خَصَّهُ بِنَوْعٍ كَانَ الثَّالِثَ مِنْ أَنْوَاعِ العَطْفِ، وَهُوَ (العَطْفُ عَلَى التَّوَهُّمِ)، وَوَضَعَ لَهُ الضَّوَابِطَ، وَالشُّرُوطَ، وَالحُدُودَ(١٣).

## ٢ – اعْتِدَادُ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّيْنَ بِالتَّوَهُّمِ حَدِيْثَاً :

يَتَّضِحُ اعْتِدَادُ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ بِالتَّوَهُّمِ حَدِيْثَاً بِمُتَابَعَةِ أَمْرَيْنِ، هُمَا :

أ – الدِّرَاسَاتُ التِي تَنَاوَلَتْ مَوْضُوعَ (التَّوَهُّمِ) بِالبَحْثِ بِنَوْعَيْهَا : خَاصَّةً ؛ حَيْثُ أُفْرِدَتْ لِتَنَاوُلِ مَوْضُوعِ التَّوَهُّمِ بالدَّرْسِ، وَعَامَّةً : حَيْثُ دَرَسَتْهُ ضِمْنَ دِرَاسَةٍ أعَمَّ، وَأقُولُ : إنَّهَا بِنَوْعَيْهَا، الخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ، كَثِيْرَةٌ، وَهَذَا دَلِيلٌ أوَّلُ عَلَى اعْتِدَادِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ بِهِ.

ب – وَالدَّلِيلُ الثَّانِي عَلَى اهْتِمَامِ اللُّغَوِيِّينَ وَالنُّحَاةِ بِمَوْضُوعِ التَّوَهُّمِ هُوَ هَذَا الاهْتِمَامُ الكَبِيرُ بِهِ فِي جُهُودِ المَجْمَعِيِّينَ، وَمِنْ ثَمَّ سَيَقُومُ البَحْثُ بِدِرَاسَةِ دَوْرِ (التَّوَهُّمِ) فِي قَرَارَاتِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيِّ.

إنَّ لِلتَّوَهُّمِ دَوْرَاً وَاضِحَاً فِي عَدَدٍ غَيْرِ قَلِيلٍ مِنَ القَرَارَاتِ التِي أَقَرَّهَا مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ؛ نَظَرَاً لِفُشُوِّ الاسْتِعْمَالِ وَكَثْرَتِهِ، وَسَوْفَ يُنَاقِشُ البَحْثُ بَعْضَ مَا أجَازَهُ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ اعْتِدَادَاً بِالتَّوَهُّمِ مُسَوِّغَاً، فَمِمَّا أجَازَهُ :

– اسْتِعْمَالُ (التَّأَرْجُحِ) ؛ بِمَعْنَى : التَّرَجُّحِ، أوْ : الارْتِجَاحِ بِنَاءً عَلَى تَوَهُّمِ أصَالَةِ الحَرْفِ ؛ فَقَدْ أجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ اسْتِعْمَالَ المَصْدَرِ (التَّأرْجُحِ) ؛ بِمَعْنَى : التَّرَجُّحِ، أوْ : الارْتِجَاحِ. وَجَاءَ فِي نَصِّ قَرَارِهِ : "تَقُولُ اللُّغَةُ فِي مَعْنَى (التَّذَبْذُبِ بَيْنَ أمْرَيْنِ) : تَرَجَّحَ، وَارْتَجَحَ، وَقَدْ شَاعَ عَلَى أَلْسِنَةِ المُعَاصِرِينَ قَوْلُهُمْ فِي مِثْلِ هَذَا المَعْنَى : تَأرْجَحَ، وَكَأنَّهُمُ اشْتَقُّوا ذَلِكَ مِنَ (الأُرْجُوحَةِ)، وَلَا مَانِعَ مِنْ إجَازَةِ ذَلِكَ ؛ مَنْعَاً لِلَّبْسِ بَيْنَ مَعْنَى (التَّذَبْذُبِ)، وَمَعْنَى (الرُّجْحَانِ)"(١٤).

وَجَاءَ فِي حَيْثِيَّاتِ هَذَا القَرَارِ : "عُرِضَ عَلَى اللَّجْنَةِ أنَّ النِّقَاشَ يَدُورُ حَوْلَ الفِعْلِ (تَأَرْجَحَ) فِي مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ : هُوَ يَتَأَرْجَحُ بَيْنَ الإقْدَامِ وَالإحْجَامِ ؛ بِمَعْنَى : التَّذَبْذُبِ بَيْنَ هَذَا وَذَاكَ، وَمِنَ النُّقَّادِ مَنْ يُخَطِّئُونَ هَذَا التَّعْبِيرَ، وَيَرَوْنَ صَوَابَهُ : تَرَجَّحَ، أوِ ارْتَجَحَ.

وَقَدِ احْتَجَّ الأُسْتَاذُ عباس حسن، لِصِحَّةِ هَذَا التَّعْبِيرِ، فَقَالَ : "إنَّ فِي اللُّغَةِ :

أَرْجَحَهُ، وَمُضَارِعُهُ: يُؤَرْجِحُهُ، كَمِثْلِ: أَكْرَمَ، فَقَدْ سُمِعَ فِيهِ: يُؤْكْرِمُ، وَلَا مَانِعَ مِنَ التَّنْظِيرِ بَيْنَ أَرْجَحَ، وَأَكْرَمَ، فَيَكُونُ المُطَاوِعُ: تَأَرْجَحَ[١٥].

وَأَشَارَ الأُسْتَاذُ محمد خلف اللَّه أحمد، إِلَى أَنَّ "أَكْرَمَ يُؤَكْرِمُ هُوَ الأَصْلُ، وَقَدْ قَالُوا بِجَوَازِ الرَّدِّ إِلَى الأَصْلِ فِي الشِّعْرِ، وَلَكِنْ يُقَالُ فِي السَّعَةِ، وَفِي غَيْرِ الضَّرُورَةِ: يُرْجِحُ، وَيُكْرِمُ"[١٦].

وَقَالَ الأُسْتَاذُ عباس حسن: "إِنَّ الأُرْجُوحَةَ مِنْ أَسْمَاءِ الأَعْيَانِ، وَقَدْ أَجَازَ المَجْمَعُ الاشْتِقَاقَ مِنْهَا، وَعَلَى هَذَا نَقُولُ: أَرْجَحَهُ فَتَأَرْجَحَ"[١٧].

وَأَيَّدَ الأُسْتَاذُ عبد الحميد حسن، ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: بِاعْتِبَارِ الأُرْجُوحَةِ كَلِمَةً جَامِدَةً، فَنَشْتَقُّ مِنْهَا دُونَ نَظَرٍ إِلَى أَصْلِ مَادَّتِهَا، وَهُوَ: رَجَحَ"[١٨].

وَقَالَ خَبِيرُ اللَّجْنَةِ: "إِنَّ الاشْتِقَاقَ مِنْ أَسْمَاءِ الأَعْيَانِ يَقْتَضِي النَّظَرَ إِلَى صِيْغَةِ الاسْمِ، وَإِجْرَاءَ الاشْتِقَاقِ مِنْهُ، وَ (الأُرْجُوحَةُ) عَلَى وَزْنِ (الأُفْعُولَةِ)، وَهِيَ مِنْ مَادَّةِ (رَجَحَ)، فَالاشْتِقَاقُ مِنَ (الأُرْجُوحَةِ) يَقْتَضِي النَّظَرَ.

فَيُقَالُ: أَرْجَحَهُ فَتَرَجَّحَ، أَوِ ارْتَجَحَ، وَلَكِنَّ إِجَازَةَ (التَّأَرْجُحِ) يُمْكِنُ أَنْ تُسْنَدَ إِلَى قَرَارِ المَجْمَعِ فِي تَوَهُّمِ أَصَالَةِ الحَرْفِ، وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ نَتَوَهَّمُ أَصَالَةَ (الهَمْزَةِ) فِي (الأُرْجُوحَةِ)، فَنَقُولُ: تَأَرْجَحَ، كَمَا قُلْتَ: تَمَذْهَبَ، وَتَمَنْطَقَ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ التَّرَجُّحَ، وَالارْتِجَاحَ تَدُلُّ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ التَّأَرْجُحُ؛ إِذْ يُعْطِيْنَا صُورَةَ (الأُرْجُوحَةِ) فِي تَمَايُلِهَا، وَتَذَبْذُبِهَا، وَفِي ذَلِكَ بَلَاغَةُ الدِّلَالَةِ[١٩].

وَمِنْ ثَمَّ قَرَّرَتْ لَجْنَةُ الأَلْفَاظِ وَالأَسَالِيبِ أَنَّهُ: "لَا مَانِعَ مِنْ إِجَازَةِ ذَلِكَ؛ مَنْعاً لِلَّبْسِ بَيْنَ مَعْنَى التَّذَبْذُبِ، وَمَعْنَى الرُّجْحَانِ، وَسَبِيلُ تِلْكَ الإِجَازَةِ مَا أَقَرَّهُ المَجْمَعُ مِنْ جَرَيَانِ بَعْضِ الكَلِمَاتِ العَرَبِيَّةِ عَلَى مَبْدَأ تَوَهُّمِ أَصَالَةِ الحَرْفِ، وَمِنْ قَبُولِ نَظَائِرِ الأَمْثِلَةِ الوَارِدَةِ عَلَى تَوَهُّمِ أَصَالَةِ الحَرْفِ الزَّائِدِ، أَوِ المُتَحَوِّلِ مِمَّا يَسْتَعْمِلُهُ المُحْدَثُونَ إِذَا اشْتَهَرَتْ، وَدَعَتْ إِلَيْهَا الحَاجَةُ"[٢٠].

– اسْتِعْمَالُ كَلِمَتَيْ (جَدْوَلَةٍ)، وَ (مَنْهَجَةٍ) بِنَاءً عَلَى تَوَهُّمِ أَصَالَةِ الحَرْفِ؛ وَقَدْ

أجَازَ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ القَاهِرِيُّ كَلِمَتَيْ (جَدْوَلَةٍ)، وَ (مَنْهَجَةٍ) عَلَى تَوَهُّمِ أصَالَةِ الحَرْفِ في كُلٍّ مِنْهُمَا.

وَقَدْ نَصَّ قَرَارُ إجَازَةِ كَلِمَةِ (جَدْوَلَةٍ) عَلَى مَا يَأتِي: "يَرَى المَجْمَعُ أنْ تُجَازَ كَلِمَةُ (الجَدْوَلَةِ) ؛ أخْذاً بِجَوَازِ الاشْتِقَاقِ مِنْ أسْمَاءِ الأعْيَانِ، وَيُسْتَبْقَى الحَرْفُ الزَّائِدُ، وَهُوَ (الوَاوُ) في الاشْتِقَاقِ ؛ أخْذاً بِتَوَهُّمِ أصَالَةِ الزِّيَادَةِ في الحُرُوفِ"[٢١].

وَجَاءَ في حَيْثِيَّاتِ هَذَا القَرَارِ:

أ – اعْتِدَادُ أصَالَةِ حَرْفِ الوَاوِ تَوَهُّمَاً: وَرَدَ في مُنَاقَشَةِ إجَازَةِ اللَّفْظَةِ: "وَالوَقْفَةُ في ذَلِكَ أنَّ (الجَدْوَلَ) مِنْ مَادَّةِ (جَدَلَ) التِي تَدُلُّ عَلَى مَعَانِي القُوَّةِ، وَالاسْتِقَامَةِ، وَالإحْكَامِ، وَمِنَ المُشْتَقَّاتِ: الجَدِيلَةُ ؛ بِمَعْنَى: الطَّرِيْقَةِ، وَبِمَعْنَى: النَّاحِيَةِ، وَسَبِيلُ الاشْتِقَاقِ مِنَ (الجَدْوَلِ) عَلَى أنَّهُ مِنْ أسْمَاءِ الأعْيَانِ أنْ يُرَدَّ إلَى حُرُوفِهِ الأصْلِيَّةِ، فَيُقَالُ: جَدَلَ، أوْ جَدَّلَ، مُضَعَّفَاً، وَلَوْ صَنَعْنَا ذَلِكَ لَمَا وَضَحَتْ صُوْرَةُ (الجَدْوَلِ) في التَّعْبِيرِ، وَثَمَّةَ مَنْدُوحَةٌ لِلإبْقَاءِ عَلَى الحَرْفِ الزَّائِدِ، وَهُوَ (الوَاوُ) في كَلِمَةِ (الجَدْوَلِ)، وَاعْتِبَارِهِ أصْلِيَّاً يُرَاعَى عِنْدَ الأخْذِ، وَالصَّوْغِ، فَيُقَالُ: جَدْوَلَ جَدْوَلَةً.

وَفي قَرَارَاتِ المَجْمَعِ النَّصُّ عَلَى تَوَهُّمِ أصَالَةِ الحَرْفِ بِاعْتِبَارِهِ مَبْدَأً جَرَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ الكَلِمَاتِ العَرَبِيَّةِ، وَأنَّ في وُسْعِ المَجْمَعِ قَبُولَ نَظَائِرِهَا مِمَّا يَسْتَعْمِلُهُ المُحْدَثُونَ إذَا اشْتُهِرَتْ، وَدَعَتْ إلَيْهَا الحَاجَةُ. وَقَدْ قَبِلَ المَجْمَعُ كَلِمَةَ (التَّأرْجُحِ) مِنَ(الأُرْجُوحَةِ) عَلَى هَذَا الغِرَارِ[٢٢].

ب – وُرُودُ اسْتِعْمَالِ كَلِمَةِ (الجَدْوَلَةِ) في نُصُوصٍ قَدِيْمَةٍ: يَقُولُ الأسْتَاذُ محمد شوقي أمين: "عَلَى أنَّ كَلِمَةَ (الجَدْوَلَةِ) لَيْسَتْ مِنْ مُبْتَكَرِ الاسْتِعْمَالِ الحَدِيثِ في صِيَاغَتِهَا، أوْ في دِلَالَتِهَا، فَإنَّ الكَلِمَةَ صُورَةٌ وَمَعْنَىً وَإرَادَةٌ في تَعْبِيرٍ قَدِيمٍ، وَقَدْ وَقَعْتُ عَلَيْهَا في كَلَامٍ لِلصَّبَّانِ في حَاشِيَتِهِ عَلَى الأشْمُونِيِّ في بَابِ (اسْمِ الإشَارَةِ)، وَهُوَ يُعَدِّدُ أحْوَالَهُ ؛ إذْ قَالَ: "فَمَنْ جَدْوَلَهَا كَالشَّارِحِ لَمْ يَسْتَوْعِبْ أقْسَامَهَا، وَمَنْ لَمْ يُجَدْوِلْهَا لَمْ يُبَيِّنِ الجَائِزَ وَالمُمْتَنِعَ..."[٢٣].

ثُمَّ إنِّي وَجَدْتُ المَجْمَعَ يُثْبِتُ في قَرَارَاتِهِ مَا يَأْتِي "جَدْوَلَهُ جَدْوَلَةً": عَمِلَ لَهُ

جَدْوَلاً، وَهُوَ كَلِمَةٌ مُوَلَّدَةٌ يُرَادُ بِهَا شَبَكَةٌ مِنْ خُطُوطٍ تَحْتَوِي مَجْمُوعَ قَضَايَا عَلَى وَجْهٍ مُخْتَصَرٍ يُمْكِنُ الوُقُوفُ عَلَيْهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً، كَـ: جَدْوَلِ الكُلِّيَّاتِ فِي المَنْطِقِ، وَجَدْوَلِ الضَّرْبِ فِي الحِسَابِ، وَجَدْوَلِ الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ فِي النَّحْوِ "[٢٤].

وَمِنْ ثَمَّ يَقُولُ البَاحِثُ: "وَإِذَنْ يَسُوغُ لِلْمَجْمَعِ أَنْ يُسَجِّلَ فِي مُعْجَمِهِ مَصْدَرَ (الجَدْوَلَةِ)، وَفِعْلَهَا: جَدْوَلَ؛ لِمَعْنَى التَّرْتِيبِ، وَالتَّعْقِيبِ، وَانْتِظَامِ المَسَائِلِ فِي قَائِمَةٍ عَلَى مُخْتَلِفِ أَنْوَاعِ التَّدَرُّجِ"[٢٥].

وَقَدْ أَقَرَّ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ المَصْدَرَ (مَنْهَجَةٌ)؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ اعْتِمَادَاً عَلَى تَوَهُّمِ أَصَالَةِ حَرْفِ (المِيْمِ)، جَاءَ فِي قَرَارِهِ:" يَجْرِي فِي الاسْتِعْمَالِ مِثْلُ قَوْلِهِمْ: مَنْهَجَ البَاحِثُ بَحْثَه؛ أَيْ: رَسَمَ لَهُ طَرِيْقَاً مُعَيَّنَةً، وَلَفْظُهُ هُنَا يُوحِي بِأَنَّهُ رُبَاعِيٌّ عَلَى (فَعْلَلَ)، وَيَقْتَضِي ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ (المِيْمُ) أَصْلِيَّةً، وَلَكِنَّ المَادَّةَ اللُّغَوِيَّةَ لِهَذِهِ الكَلِمَةِ هِيَ (نَهَجَ)؛ فَهِيَ ثُلَاثِيَّةٌ، وَ (المِيْمُ) زَائِدَةٌ.

وَقَدْ تَوَقَّفَ بَعْضُ اللُّغَوِيِّينَ فِي قَبُولِ الفِعْلِ (مَنْهَجَ) عَلَى أَسَاسِ أَنَّهُ غَيْرُ جَارٍ عَلَى قَوَاعِدِ التَّصْرِيفِ، وَقَدْ دَرَسَتِ اللَّجْنَةُ هَذَا الفِعْلَ وَمَصْدَرَهُ (المَنْهَجَةُ)، وَانْتَهَتْ إِلَى أَنَّ اسْتِعْمَالَهُمَا جَائِزٌ عَلَى مَبْدَأ تَوَهُّمِ أَصَالَةِ الحَرْفِ تَطْبِيْقَاً لِمَا سَبَقَ لِلْمَجْمَعِ إِقْرَارُهُ مِنْ قَبُولِ مَا يَشِيعُ مِنَ الكَلِمَاتِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، مِثْلُ: تَمَذْهَبَ، وَتَمَنْدَلَ، وَتَمَرْكَزَ"[٢٦].

وَقَدْ بَحَثَ هَذَا الاسْتِعْمَالَ الأُسْتَاذُ محمد شوقي أمين، وَأَقَرَّهُ، وَقَدِ انْتَهَى إِلَى: أَنَّ (المِيمَ) فِي (المَنْهَجِ) زَائِدَةٌ، مِثْلُ (الوَاوِ) فِي (الجَدْوَلَ)، وَمِنْ ثَمَّ تَفْتَقِرُ إِلَى إِعْمَالِ رُخْصَةِ المَجْمَعِ فِي تَوَهُّمِ الحَرْفِ الزَّائِدِ أَصْلِيَّاً، وَإِبْقَائِهِ فِي صَوْغِ مَصْدَرٍ مِنَ (المَنْهَجِ) عَلَى وَزْنِ (الفَعْلَلَة)، فَنَقُولُ: (المَنْهَجَة).

وَجَاءَ فِي مُنَاقَشَتِهِ: "وَأَمَّا كَلِمَةُ (المَنْهَجَة) فَيُرَادُ بِهَا إِخْضَاعُ البَحْثِ لِمَنْهَجٍ مُعَيَّنٍ، وَقَدْ شَاعَ هَذَا الاسْتِعْمَالُ اليَوْمَ تَمَشِّيَاً مَعْ مَا اسْتُحْدِثَ مِنْ طَرَائِقِ البَحْثِ وَالدِّرَاسَةِ، وَالوَقْفَةُ فِيهِ كَالوَقْفَةِ فِي (الجَدْوَلَة) أَخْذَاً مِنَ (الجَدْوَلِ)، وَهِيَ أَنَّ (المَنْهَجَ) كَلِمَةٌ مُشْتَقَّةٌ فِيهَا الحَرْفُ الزَّائِدُ، وَهُوَ (المِيْمُ)، وَفِي اللُّغَةِ فِعْلُ: نَهَجَ الطَّرِيقَ؛ أَيْ: بَيَّنَهُ، وَلَكِنَّنَا لَوِ اعْتَمَدْنَا الفِعْلَ وَمَصْدَرَهُ فِي الاسْتِعْمَالِ لَانْكَشَفَ المُرَادُ مِنْ كَلِمَةِ (المَنْهَجِ)

التِي أصْبَحَتِ اسْمَاً يَدُلُّ عَلَى طَرِيقِ البَحْثِ، وَمَعَالِمِ السَّيْرِ فِيهِ، وَمِنْ ثَمَّ نَفْتَقِرُ إِلَى إِعْمَالِ رُخْصَةِ المَجْمَعِ فِي تَوَهُّمِ الحَرْفِ الزَّائِدِ أَصْلِيَّاً، وَإِبْقَائِهِ فِي صَوْغِ مَصْدَرٍ مِنَ (المَنْهَجِ) عَلَى وَزْنِ (الفَعْلَلَةِ)، فَنَقُولُ: (المَنْهَجَةُ).

وَنَقُولُ: مَنْهَجَ البَاحِثُ بَحْثَهُ؛ أَيْ: جَعَلَهُ عَلَى مَنْهَجٍ عِلْمِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَعَلَى هَذَا يَسُوغُ لِلْمَجْمَعِ أَنْ يُسَجِّلَ فِي مُعْجَمِهِ مَا يَأْتِي: مَنْهَجَ البَاحِثُ بَحْثَهُ: سَارَ فِيهِ عَلَى مَنْهَجٍ عِلْمِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَالمَصْدَرُ: المَنْهَجَةُ، وَالأَخْذُ فِيهِ جَارٍ عَلَى مَبْدَأ تَوَهُّمِ أَصَالَةِ الحَرْفِ تَطْبِيْقَاً لِقَرَارِ المَجْمَعِ فِي قَبُولِ مَا يَشِيعُ مِنَ الكَلِمَاتِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ"(٢٧).

وَعَدَّ البَعْضُ ابْتِكَارَ النُّحَاةِ التَّوَهُّمَ وَسِيلَةَ تَأْوِيلٍ لِمَا شَذَّ عَنِ القَاعِدَةِ المُطَّرِدَةِ مِنْ نُصُوصٍ دَلِيلَ عَبْقَرِيَّةٍ، وَمَنَاطَ تَقْدِيرٍ؛ إِذْ إِنَّهُمْ بِهَذَا يُرَاعُونَ المَقَامَ اللُّغَوِيَّ تَمَامَاً، حَتَّى إِنَّهُمْ يَرَاعُونَ الأُمُورَ النَّفْسِيَّةَ الدَّاخِلِيَّةَ، يَقُولُ الأُسْتَاذُ علي النجدي ناصف: "وَهَذَا الذِي ذَكَرَ النُّحَاةُ أَنَّ الوَهْمَ الذِي يَصْنَعُهُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ يَصْنَعُهُ كَذَلِكَ فِي الحَيَاةِ، فَنَحْنُ إِذْ نُبْصِرُ شَيْئَاً يُشْبِهُ آخَرَ، وَيُذَكِّرُ بِهِ، فَنَسْتَغْرِقُ مَا تَجِيشُ النُّفُوسُ، وَتَتَحَرَّكُ الجَوَارِحُ لأَصْلِهِ حِيْنَ نُبْصِرُهُ عَيْنَاً، لَا تَوَهُّمَاً"(٢٨).

## - رَأْيُ البَحْثِ فِي التَّوَهُّمِ:

يُعَدُّ التَّوَهُّمُ وَسِيْلَةً مِنْ وَسَائِلِ إِخْضَاعِ النَّصِّ لِسُلْطَانِ القَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ، وَذَرِيعَةً يَتَذَرَّعُ بِهَا اللُّغَوِيُّ، أَوِ النَّحْوِيُّ؛ لِيَجْعَلَ قَاعِدَتَهُ تَعُمُّ جَمِيعَ نُصُوصِ اللُّغَةِ، وَهَذَا مَوْقِفٌ لَا يَصِحُّ لُغَوِيَّاً؛ إِذْ إِنَّ اللُّغَةَ أَيَّ لُغَةٍ لَا يُرْجَى لِجَمِيعِ قَوَاعِدِهَا الاطِّرَادُ التَّامُّ؛ نَظَرَاً لاخْتِلَافِ المُسْتَخْدِمِينَ لَهَا اجْتِمَاعِيَّاً؛ فَالثَّقَافَةُ، وَالْمُسْتَوَى الحَضَارِيُّ، وَالسِّنُّ، وَالدَّوْرُ المُجْتَمَعِيُّ، لَهَا تَأْثِيرَاتُهَا الوَاضِحَةُ عَلَى الاسْتِعْمَالِ اللُّغَوِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ تَتَعَدَّدُ مُسْتَوَيَاتُ الأَدَاءِ اللُّغَوِيِّ بِاخْتِلَافِ مُسْتَوَيَاتِ النَّاطِقِينَ، فَبِسَبَبِ "إِفْرَاطِ بَعْضِ النُّحَاةِ فِي اسْتِخْدَامِ الأَقْيِسَةِ العَقْلِيَّةِ، وَتَشَدُّدِهِمْ فِي قَبُولِ الشَّاهِدِ النَّحْوِيِّ جَعَلَهُمْ يَقِفُونَ أَمَامَ شَوَاهِدَ فَصِيْحَةٍ تُخَالِفُ قِيَاسَهَا المَنْطِقِيَّ، أَوْ قَاعِدَتَهَا التِي اسْتَنْبَطُوهَا مِمَّا دَفَعَهُمْ إِلَى تَأْوِيْلِهَا لِتَتَوَافَقَ مَعْ قَوَاعِدِهِمْ، أَوْ رَمْيِهَا بِالشُّذُوذِ، وَالخَطَأ إِنْ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ ذَلِكَ"(٢٩).

وَيَقُولُ الدُّكْتُور علي محمد أبو المكارم: "إنَّ الالْتِزَامَ بِالنُّصُوصِ مَبْدَأٌ مِنَ المَبَادِئِ التِي لَا تَقْبَلُ الخُرُوجَ عَلَيْهَا، وَمَوْقِفٌ مِنَ المَوَاقِفِ التِي تَأْبَى الاسْتِثْنَاءَ فِيهَا، إذْ إمَّا أنْ يَكُونَ الْتِزَاماً، أوْ عَدَمَ الْتِزَامٍ، وَقَدْ قَبِلَ النُّحَاةُ العَرَبُ أنْ يَخْرُجُوا عَلَى هَذَا المَبْدَأ، وَلَمْ يَقِفُوا فِي خُرُوجِهِمْ عَلَيْهِ عِنْدَ مَوَاضِعَ يَسْتَثْنُونَهَا، بَلْ إنَّهُمْ جَعَلُوهُ أصْلاً مُطَّرِداً فِي ظَوَاهِرَ بِأَسْرِهَا، وَفِي مَوَاقِفَ بِجُمْلَتِهَا" (٣٠).

وَلَكِنْ إنِ اكْتُفِيَ بِهَا تَفْسِيْرَاً لِلَابَسَاتِ الخُرُوجِ عَلَى النَّمَطِ المُعْتَادِ مِنَ التَّعْبِيرِ، وَالسَّائِدِ المُسْتَعْمَلِ مِنَ القَوَاعِدِ فَدَوْرُهُ قَائِمٌ، وَعَمَلُهُ جَلِيلٌ.

## ثَانِيَاً – كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَالتَّخْفِيفُ:

إنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ دَاعِيَةٌ إلَى التَّخْفِيفِ، وَمِنْ ثَمَّ، فَإنَّ لَهَا دَوْرَاً وَاضِحَاً فِي التَّخْفِيفِ، فَمَا كَثُرَ اسْتِعْمَالِهِ يَجُوزُ التَّخَفُّفُ فِيهِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

– رَبْطُ بَعْضِ النَّحْوِيِّينَ بَيْنَ خِفَّةِ الاسْمِ وَكَثْرَتِهِ فِي الكَلَامِ، وَثِقَلِ الفِعْلِ وَقِلَّتِهِ، وَمِنْهُمُ ابْنُ يَعِيشَ حَيْثُ يَقُولُ عَنْ خِفَّةِ الاسْمِ وَثِقَلِ الفِعْلِ: "إنَّ الاسْمَ أكْثَرُ مِنَ الفِعْلِ مِنْ حَيْثُ إنَّ كُلَّ فِعْلٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ فَاعِلِ اسْمٍ يَكُونُ مَعَهُ، وَقَدْ يَسْتَغْنِي الاسْمُ عَنِ الفِعْلِ، وَإذَا ثَبَتَ أنَّهُ أكْثَرُ فِي الكَلَامِ كَانَ أكْثَرَ اسْتِعْمَالاً، وَإذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ خَفَّ عَلَى الألْسِنَةِ؛ لِكَثْرَةِ تَدَاوُلِهِ" (٣١).

– وَمِنْهُ: تَغْيِيرُ حَرَكَاتِ الشَّكْلِ فِي (نَعِمَ، وَبَئِسَ) إلى (نِعْمَ وَبِئْسَ)؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِمَا، يَقُولُ المُبَرِّدُ: "وَمَنْ قَالَ: نِعْمَ المَرْأةُ؛ وَمَا أشْبَهَهُ فَلأنَّهُمَا فِعْلَانِ قَدْ كَثُرَا، وَصارَا فِي المَدْحِ وَالذَّمِّ أصْلاً، وَالحَذْفُ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ إيَّاهُ" (٣٢). وَيَقُولُ أيْضَاً: "فَلَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمَا أُلْزِمَا التَّخْفِيفَ" (٣٣).

وَمِنْ ثَمَّ يُقَرِّرُ السُّيُوطِيُّ قَاعِدَةً هِيَ أنَّ: "هَذَا اللَّفْظَ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ، وَشَاعَ اسْتِعْمَالُهُ، وَهُمْ لِمَا كَثُرَ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ أشَدُّ تَغْيِيرَاً، كَمَا جَاءَ عَنْهُمْ، كَذَلِكَ: لَمْ يَكُ، وَلَمْ أدْرِ..." (٣٤).

## ثَالِثَاً – كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَالنَّحْتُ :

إنَّ كَثْرَةَ اسْتِعْمَالِ بَعْضِ الجُمَلِ أدَّتْ إلَى اخْتِصَارِهَا عَنْ طَرِيقِ (النَّحْتِ)، فَيُقَالُ في : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) : بَسْمَلَ، وَيُقَالُ في : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ : حَوْقَلَ، وَيُقَالُ في : حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ : حَيْعَلَ... إلخ. قَالَ الخَلِيلُ في أصْلِ (هَلُمَّ) : "وَالهَاءُ لِلتَّنْبِيهِ، وَلُمَّ ؛ أيْ : (لُمْ بِنَا)، ثُمَّ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا، فَحُذِفَتِ (الألِفُ) تَخْفِيفَاً"[٣٥].

وَيَقُولُ الفَرَّاءُ : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[٣٦]... وَهِيَ في قِرَاءَةِ عَبْدِاللَّهِ : ﴿وَلَسَيُعْطِيكَ﴾، وَالمَعْنَى وَاحِدٌ إلَّا أنَّ (سَوْفَ) كَثُرَتْ في الكَلَامِ، وَعُرِفَ مَوْضِعُهَا، فَتُرِكَ مِنْهَا الفَاءُ وَالوَاوُ، وَالحَرْفُ إذَا كَثُرَ فَرُبَّمَا فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، كَمَا قِيلَ : إيْشٍ تَقُولُ ؟ وَكَمَا قِيْلَ : قُمْ لَا بَاكَ، وَ: قُمْ لَا بِشَانِئِكَ ؛ يُرِيدُونَ : أيَّ شَيءٍ تَقُولُ، وَلَا أبَا لَكَ، وَلَا أبَا لِشَانِئِكَ"[٣٧].

وَيَرَى الدُّكْتُورُ رمضان عبد التواب، أنَّ "كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ تُبْلِي الألْفَاظَ، وَتَجْعَلُهَا عُرْضَةً لِقَصِّ أطْرَافِهَا تَمَامَاً، كَمَا تَبْلَى العُمْلَاتُ المَعْدِنِيَّةُ وَالوَرَقِيَّةُ التِي تَتَبَادَلُهَا أيْدِي البَشَرِ ؛ فَكَلِمَاتُ التَّحِيَّةِ، مِثْلُ : (مَسَاءُ الخَيْرِ) التِي صَارَتْ (سَلْخِير)، وَكَذَلِكَ عِبَارَةُ (مَرْحَبَاً بِكَ) التِي صَارَتْ (حَبَابَكَ) في نُطْقِ السُّودَانِيِّينَ"[٣٨].

## رَابِعَاً – كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ وَالإمَالَةُ :

وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ تُؤَدِّي إلَى إمَالَةِ مَا لَمْ تَتَوَافَرْ فِيهِ شُرُوطُ الإمَالَةِ، وَمِمَّنْ أجَازَ الحَمْلَ عَلَى كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ في الإمَالَةِ ابْنُ خَالَوَيْهِ، يَقُولُ :" فَإنْ سَأَلَ سَائِلٌ : لِمَ أمَالَ أبُو عَمْرٍو: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[٣٩]، وَلَمْ يُمِلْ: ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[٤٠]، وَأَلِفَاهُمَا مُنْقَلِبَتَانِ مِنَ (الوَاوِ)، وَوَزْنُهُمَا سِيَّانُ، وَالأصْلُ فِيْهِمَا : نَوَرَ، وَجَوَرَ، فَقَلَبُوا مِنَ (الوَاوِ) أَلِفَاً ؛ لِتَحَرُّكِهَا وَانْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا ؟

فَالجَوَابُ في ذَلِكَ أنَّ (النَّارَ) كَثُرَ دَوَرَانُهُ في القُرْآنِ، فَأَمَالَهُ تَخْفِيْفَاً، وَ (الجَارُ) لَمَّا قَلَّ دَوْرُهُ في القُرْآنِ تَرَكَهُ عَلَى أصْلِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أنَّ أبَا عَمْرٍو يُمِيلُ: ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٤١] في مَوْضِعِ الجَرِّ وَالنَّصْبِ ؛ لِكَثْرَةِ دَوْرِهِ في القُرْآنِ، وَلَا يُمِيلُ ﴿جَبَّارِينَ﴾[٤٢] في مَوْضِعِ النَّصْبِ ؛ لأنَّهُ في القُرْآنِ في مَوْضِعَيْنِ"[٤٣].

بَلْ يَعُدُّ أبُو عَلِيٍّ الفَارِسِيُّ مَا أُمِيلَ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ أقْيَسَ مِنَ القَلِيلِ، يَقُولُ: "وَكَانَ إمَالَةُ الفَتْحَةِ مَعَ (الهَاءِ) سَاكِنَةً أكْثَرَ فِي الاسْتِعْمَالِ مِنْ بَابِ (طَلَبَنَا)، وَأقْيَسَ؛ لأنَّ (الهَاءَ) قَدْ أُجْرِيَتْ مُتَحَرِّكَةً مُجْرَى (الألِفِ)"(٤٤).

هَذَا عَنِ العَلَاقَةِ بَيْنَ كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ وَبَعْضِ الأُصُولِ اللُّغَوِيَّةِ.

## هوامش المبحث الخامس

١ – الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان، **ديوان زهير = شعر زهير بن أبي سلمى**، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط ٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م، ص ١٦٩، والبغدادي، **خزانة الأدب**، ج ٨، ص ٤٩٢. ونسب لصرمة الأنصاري في: ابن السيرافي، يوسف بن أبي سعيد، **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق: محمد علي سلطاني، دار المأمون، دمشق، ١٩٧٩م، ج ١، ص ٧٢.

٢ – سيبويه، **الكتاب**، ج ١، ص ٨٣، ٤١٨.

٣ – ابن جني، **الخصائص**، ج ٣، ص ٢٨٩.

٤ – الفرّاء، **معاني القرآن**، ج ٢، ص ٣٤٧ – ٣٤٨.

٥ – من الآية ٩٠ من **سورة يوسف**.

٦ – ابن هشام، جمال الدين، يوسف بن أحمد، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٥٥٠.

٧ – ابن جني، **الخصائص**، ج ٢، ص ٤١١ – ٤٣٥.

٨ – ابن الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج ٢، ص ٧٧٦.

٩ – الحاوي، إيليا سليم، **شرح ديوان الفرزدق**، ج ١، ص ٢٥٤، والعيني، **المقاصد النحوية**، ج ٢، ص ٤٥٦.

١٠ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ١، ص ٤٣٢، ج ٨، ص ٧٠.

١١ – من الآية ١٧ من **سورة البقرة**.

١٢ – أبو حيّان، **البحر المحيط**، ج ١، ص ٧٧.

١٣ – ابن هشام، **مغني اللبيب**، ج ٢، ص ٥٤٩.

١٤ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ١، ص ٥١.

١٥ – المرجع السابق نفسه.

١٦ – المرجع السابق نفسه.

١٧ – المرجع السابق نفسه.

١٨ – المرجع السابق نفسه.

١٩ – المرجع السابق نفسه.

٢٠ – المرجع السابق نفسه.

٢١ – المرجع السابق، ج ٢، ص ٩.

٢٢ – المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢، ١٣.

٢٣ – الصبان، **حاشية الصبان**، ج ٤، ص ١٤٠.

٢٤ – أمين، محمد شوقي وزميله، **الألفاظ والأساليب**، ج ٢، ص ١٧.

٢٥ – المرجع السابق نفسه.

٢٦ – المرجع السابق، ج ٢، ص ١٠.

٢٧ – المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣ – ١٤.

٢٨ – ناصف، علي النجدي، **من قضايا اللغة والنحو**، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د. ت، ص ١٠٢.

٢٩ – عمر، أحمد مختار، **البحث اللغوي عند العرب**، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٣٠.

٣٠ – أبو المكارم، علي محمد، **تقويم الفكر النحوي**، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ص ١٣٢.

٣١ – ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ١، ص ٥٧، والسيوطي، **الأشباه والنظائر**، ج ١، ص ٢٦٩، وينظر، أيضاً : عفيفي، أحمد، **ظاهرة التخفيف في النحو العربي**، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ٤٨.

٣٢ – المبرد، **المقتضب**، ج ٢، ص ١٤٤.

٣٣ – المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٨.

٣٤ – السيوطي، **الأشباه والنظائر**، ج ١، ص ١٣.

٣٥ – سيبويه، **الكتاب**، ج ٣، ص ٥٢٩.

٣٦ – من الآية ٥ من **سورة الضحى**.

٣٧ – الفراء، **معاني القرآن**، ج ٣، ص ٢٧٤.

٣٨ – عبد التواب، رمضان، **التطور اللغوي : مظاهره وعلله وقوانينه**، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١٣٥.

٣٩ – من الآية ١١٦ من **سورة آل عمران**.

٤٠ – من الآية ٣٦ من **سورة النساء**.

٤١ – من الآيتين ١٩، ٢٦٤ من **سورة البقرة**.

٤٢ – من الآية ٢٢ من **سورة المائدة**.

٤٣ – ابن خالويه، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد، **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**، عُني بنشره : برجشتراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت، ص ٤١.

٤٤ – الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد، **الحجة للقراء السبعة**، تحقيق : بدر الدين قهوجي وزميله، ط ٢، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج ١، ص ٦٣.

# الخَاتِمَةُ

أَثْبَتَ البَحْثُ أَنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ لَهَا دَوْرٌ وَاضِحٌ قَدِيْمَاً وَحَدِيْثَاً، وَإِنْ كَانَ الفَرْقُ بَيْنَ جُهْدِ القُدَمَاءِ وَالمُحْدَثِينَ هُوَ : أَنَّ القُدَمَاءَ قَدْ خَصَّصُوا مَبَاحِثَ لِتَنَاوُلِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ شَرْحَاً وَتَفْصِيْلاً، في حِينِ أَنَّ المُحْدَثِينَ لَمْ يَقُومُوا بِهَذَا الدَّوْرِ، وَلَكِنْ حَرَصُوا عَلَى التَّطْبِيقِ العَمَلِيِّ لِمَا وَرَدَ عَنِ القُدَمَاءِ، فَرَأَيْنَا مَجْمَعَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ يَعْتَدُّ بِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ اعْتِدَادَاً وَاضِحَاً في كَثِيرٍ مِنْ قَرَارَاتِهِ في الأَلْفَاظِ وَالأَسَالِيبِ، وَذَلِكَ كَمَا يَأْتِي :

## أ – عَلَى المُسْتَوَى البِنْيَوِيِّ :

أَثْبَتَ البَحْثُ أَنَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ تَأْثِيْرَاً عَلَى عَدَدٍ مِنَ الظَّوَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ، كَـ: الإِبْدَالِ، وَإِسْكَانِ بَعْضِ الصَّوَامِتِ، أَوْ تَحْرِيْكِهَا، أَوْ قَلْبِهَا، أَوْ حَذْفِهَا، وَكَذَلِكَ جَاءَتْ (كَثْرَةُ الاسْتِعْمَالِ) دَلِيْلاً عَلَى أَصَالَةِ بَعْضِ الأَصْوَاتِ، وَفَرْعِيَّةِ أُخْرَى.

## ب – عَلَى المُسْتَوَى النَّحْوِيِّ :

أَكَّدَ البَحْثُ صِحَّةَ فِكْرَةِ بِنَاءِ قَوَاعِدِ النَّحْوِ العَرَبِيِّ عَلَى المُطَّرِدِ الشَّائِعِ خَاصَّةً الجُهْدَ الكَبِيرَ الذِي بَذَلَهُ البَصْرِيُّونَ، كَمَا أَثْبَتَ – كَذَلِكَ – أَنَّ كَثْرَةَ الاسْتِعْمَالِ كَانَتْ عِلَّةً لِعَدَدٍ مِنَ الأُصُولِ ذَاتِ الشَّأْنِ التِي شَكَّلَتْ صُورَةَ النَّحْوِ العَرَبِيِّ، وَمِنْهَا : الحَذْفُ، وَالاخْتِصَارُ، وَالإِضْمَارُ، وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ، وَالتَّخْفِيفُ، وَالتَّوَهُّمُ، وَالتَّرْخِيمُ.

## ت – عَلَى المُسْتَوَى الدِّلَالِيِّ :

أَوْضَحَ البَحْثُ أَثَرَ (كَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ) عَلَى الجَانِبِ الدِّلَالِيِّ، ضِيْقَاً وَسَعَةً، وَانْتِقَالاً، وَأَثْبَتَ أَنَّ لِكَثْرَةِ الاسْتِعْمَالِ تَأْثِيْرَاً مَلْحُوظَاً في إِيْجَادِ عَلَاقَاتٍ دِلَالِيَّةٍ جَدِيدَةٍ.

# المصادر والمراجع


١ – أحمد، محمد خلف الله، وزميله، **كتاب في أصول اللغة**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

٢ – الأزهري، زين الدين، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥هـ)، **التصريح بمضمون التوضيح**، دراسة وتحقيق : عبد الفتاح بحيري إبراهيم، ط ١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٣ – ابن السراج، أبو بكر، محمد بن سهل (ت ٣١٦هـ)، **الأصول في النحو**، تحقيق : عبد الحسين الفتلي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٤ – الأشموني، أبو الحسن، علي بن محمد (ت ٩٠٠هـ)، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.

٥ – الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت ٢١٧هـ)، **شرح ديوان العجاج**، تحقيق : عزّة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٦ – الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان(ت ٤٧٦هـ)، **ديوان زهير = شعر زهير بن أبي سلمى**، تحقيق : فخر الدين قباوة، ط ٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٧ – أمين، محمد شوقي، وزميله:

– **الألفاظ والأساليب**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٧م، الجزآن : الأول، والثاني.

– **مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً (١٩٣٤–١٩٨٤م)**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٨ – ابن الأنباري، أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ):

– **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، القاهرة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- **الإغراب في جدل الإعراب**، تحقيق: سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥٧م.

٩ - الأنصاري، أحمد مكي، **أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة**، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٠ - أنيس، إبراهيم، **من أسرار اللغة**، ط ٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.

١١ - البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٢ - الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ)، **فقه اللغة وسرّ العربية**، تحقيق: إملين نسيب، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨م.

١٣ - الجرجاني، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ على خلا)، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٤ - الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف (ت ٨١٦هـ)، **التعريفات**، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩١م.

١٥ - ابن جني، أبو الفتح، عثمان (ت ٣٩٢هـ)، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.

١٦ - الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: إميل بديع يعقوب وزميله، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠ هـ م ١٩٩٩م.

١٧ - الحاوي، إيليا سليم، **شرح ديوان الفرزدق**، ط ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م.

١٨ - حسن، عباس، **اللغة والنحو بين القديم والحديث**، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٩ – حسين، محمد الخضر، **المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية**، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الأول، القاهرة، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

٢٠ – الحموز، عبد الفتاح، **ظاهرة القلب المكاني في العربية : عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها**، ط ١، دار عمّار، عمّان، الأردن، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٢١ – أبو حيّان، أثير الدين، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ):

– **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق : مصطفى أحمد النمّاس، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

– **البحر المحيط = التفسير الكبير**، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، د. ت.

٢٢ – ابن خالويه، أبو عبد الله، الحسين بن أحمد، (ت ٣٧٠ هـ):

– **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤١م.

– **القراءات الشاذة**، عُني بنشره : برجشتراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت.

– **ليس في كلام العرب**، تحقيق : محمد أبو الفتوح شريف، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٥م.

٢٣ – الخضري، محمد بن مصطفى بن حسن (ت ١٢٨٧هـ)، **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، شرحها وعلّق عليها : تركي فرحات مصطفى، ط ٢، دار الكتب، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٤ – رضي الدين، محمد بن الحسن، الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، **شرح الرضي على الكافية**، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

– **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق : محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٢٥ – الزبيدي، أبو بكر، محمد بن الحسين الأندلسي (ت ٣٧٩هـ)، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.

٢٦ – الزبيدي، أبو الفيض، السيد محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس في شرح جواهر القاموس**، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مطبعة حكومة الكويت، دولة الكويت، ١٩٧٤م.

٢٧ – الزجاجي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٣٧هـ)، **اللامات**، تحقيق: مازن المبارك، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٨ – الزمخشري، جار الله، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ):

– **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

– **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: محمد البجاوي وزميله، ط ٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١م.

– **الكشاف**، تحقيق وتعليق: عبد الرازق المهدي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

– **المحاجاة بالمسائل النحوية**، تحقيق: بهيجة بنت باقر الحسيني، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٢٩ – ابن سلّام، أبو عبيد، القاسم (ت ٢٢٢هـ)، **غريب الحديث**، تصحيح: محمد عظيم الدين، حيدر آباد، الهند، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٣٠ – سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٣١ – ابن السيرافي، أبو محمد، يوسف بن أبي سعيد (ت ٣٨٥هـ)، **شرح أبيات سيبويه**، تحقيق: محمد علي سلطاني، دار المأمون، دمشق، ١٩٧٩م.

٣٢ – السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال (ت ٩١١هـ):

– **الأشباه والنظائر**، تحقيق: عبد الإله نبهان وزملائه، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٦هـ–١٤٠٧هـ/١٩٨٥م–١٩٨٧م.

– **الاقتراح في علم أصول النحو**، تحقيق: أحمد محمد قاسم، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م.

- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح : محمد أحمد جاد المولى وزميليه، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.

- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، تحقيق : عبد السلام محمد هارون وزميله، ط ١، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م.

٣٣ - ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد (ت ٥٤٢ هـ)، **أمالي ابن الشجري**، تحقيق : محمود محمد الطناحي، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٤ - الصبّان، أبو العرفان، محمد بن علي (ت ١٢٠٦هـ)، **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د. ت.

٣٥ - الصّمد، واضح، **شرح ديوان الراعي النميري**، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣٦ - عبد التواب، رمضان:

- **التطور اللغوي : مظاهره وعلله وقوانينه**، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- **فصول في فقة العربية**، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٣٧ - عبد الغني، أحمد عبد العظيم، **معايير الرفض والقبول في الدرس النحوي عند عباس حسن : دراسة تحليلية في النظر والتطبيق**، دار النصر للتوزيع والنشر، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣٨ - عبد اللطيف، محمد حماسة، **لغة الشعر : دراسة في الضرورة الشعرية**، ط ١، دار الشروق، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣٩ - عبد الله بن رواحة، **ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري**، جمع وتحقيق : حسن محمد باجودة، ط ١، مكتبة التراث، القاهرة، ١٩٧٢م.

٤٠ - العدوي، عبادة بن أحمد بن مكرم الصعيدي (ت ١١٨٩هـ)، **حاشية العدوي على شذور الذهب**، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

٤١ – عروة بن حزام، **ديوان عروة بن حزام**، جمع وتحقيق : أنطوان محسن القوَّال، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٢ – ابن عصفور، أبو الحسن، علي بن مؤمن (ت ٦٦٩هـ):

– **شرح جمل الزَّجاجي**، تحقيق : صاحب أبو جناح، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

– **الممتع في التصريف**، تحقيق : فخر الدين قباوة، ط ٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٤٣ – عفيفي، أحمد، **ظاهرة التخفيف في النحو العربي**، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٤٤ – ابن عقيل، بهاء الدين، عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩هـ):

– **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢٠، دار التراث، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

– **المساعد على تسهيل الفوائد**، تحقيق : محمد كامل بركات، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٤٥ – العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ)، **التبيان في إعراب القرآن**، تحقيق : علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م.

٤٦ – عمر، أحمد مختار، **البحث اللغوي عند العرب**، القاهرة، ١٩٧٦م.

٤٧ – العيني، بدر الدين، محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ)، **المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية**، دار صادر، بيروت – د. ت.

٤٨ – الفارسي، أبو علي، الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧هـ)، **الحجة للقراء السبعة**، تحقيق : بدر الدين قهوجي وزميله، ط ٢، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤٩ – الفرّاء، أبو زكريا، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي وزملائه، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

٥٠ – فندريس، **اللغة، تعريب : عبد الحميد الدواخلي وزميله**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

٥١ – الفيروزآبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، إعداد وتقديم : محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ/٩٩٧م.

٥٢ – الفيومي، أحمد بن محمد علي المقري (ت ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، تحقيق : عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٥٣ – القرشي، محمد بن أبي الخطّاب (ت أوائل القرن الرابع)، **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق : محمد علي الهاشمي، ط ٢، دار القلم، دمشق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٦م.

٥٤ – القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد (ت ٦٨١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٣م/١٩٦٧م.

٥٥ – مكّي، أبو محمد بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق : حاتم صالح الضامن، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٥٦ – كعب بن زهير، **ديوان كعب بن زهير**، قرأه وقَدَّم له : محمد يوسف نجم، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٥٧ – ابن مالك، جمال الدين، محمد بن عبد الله (ت ٦٧٢ هـ)، **شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق : عبد الرحمن السيد وزميله**، ط ١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٥٨ – مايو، قدري، **شرح ديوان كثيّر عزّة**، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٥٩ – المبرّد، أبو العباس، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، **المقتضب**، تحقيق : محمد عبدالخالق عضيمة، مطبوعات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

٦٠ – مجمع اللغة العربية، **مجلة مجمع اللغة العربية**، ج٤، القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.

٦١ – المرادي، الحسن بن أم قاسم (ت ٧٤٩هـ)، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق : فخر الدين قباوة وزميله، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٦٢ – أبو المكارم، علي محمد:

– **أصول التفكير النحوي**، منشورات كلية التربية بالجامعة الليبية، طرابلس – ليبيا، ١٩٧٣م.

– **تقويم الفكر النحوي**، دار الثقافة، بيروت، د. ت.

٦٣ – ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، تحقيق : عبد الله علي الكبير وزميليه، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

٦٤ – الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦٥ – ناصف، علي النجدي، **من قضايا اللغة والنحو**، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د. ت.

**٦٦ – ابن هشام، جمال الدين، يوسف بن أحمد (ت ٧٦١هـ)** :

– **شرح شذور الذهب**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د. ت.

– **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦٧ – ياسين الحمصي، زين الدين العليمي (ت ١٠٦٠هـ)، **حاشية يس على شرح التصريح**، دار الفكر، بيروت، د. ت.

٦٨ – ابن يعيش، أبو البقاء، يعيش بن علي (ت ٦٤٣هـ):

– **شرح المفصل**، عالم الكتب، بيروت، د. ت.

– **شرح الملوكي في التصريف**، تحقيق : فخر الدين قباوة، ط ٢، دار الأوزاعي، بيروت، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.